اعترافات
امرأة صغيرة

دار دريم بن للطباعة و النشر

العنوان: مدينة العبور – الحي السادس، فيلا ٨، مدخل ١

هاتف: ١٠٠٣٢٨٨٥٩٦)٠٠٢٠(

بريد إلكتروني: dream.pen92@gmail.com

اعترافات امرأة صغيرة

هناء منصور

الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٢٠م

غلاف: عمار جمال العبد

مراجعة، تنسيق وإخراج داخلي: در يم بن

رقم الإيداع: 25138 / 2019

I.S.B.N \ 978-977-85605-3-4

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًّا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذنٍ خطيٍّ من الدار.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبِّر عن رأي كاتبها، ولا تعبِّر بالضرورة عن رأي دار النشر.

اعترافات امرأة صغيرة

رواية

هناء منصور

DREAM PEN
FOR TRANSLATION & PUBLISHING
AND DISTRIBUTION

إهداء

إلـى بناتـي اللاتي رأيـن الكـون فـي عيني و بناتـي اللاتي لم يسعني عمري للقائهن..

شكر و امتنان

لكل من والديّ، أبي الذي أعطاني ثقة جعلتني أرى حبه في كل خطوة أخطوها ، فصنتها..

و أمي التي احتوتني و ما زالت...

و ذلك الرجل الذي جدّد لي أحلامي حتى صارت واقعًا ، زوجي المحترم.. إبراهيم

البداية..

استأجرت فتاة، أثارت قضيتها الرأي العام مؤخرا، قاعة كبيرة و قامت بدعوة كثير من الصحفيين و الإعلاميين و ذوي الرأي لتحكي لهم عن تفاصيل قصتها منذ البداية. و أعلنت أنها ستدعو كل شهود الحادث إلى اللقاء و أن من ستسرد تفاصيل الحكاية هي شاهدة عليها منذ الطفولة.

و في اليوم المقرر حضر الجمهور و تقدمت فتاتان نحو المنصة واحدة يعرفها الجميع من صورها التي تم نشرها عبر كل وسائل الاتصال، صاحبة القضية و الأخرى أخفت وجهها و دخلت خلف الستارة لتُلقي الحكاية. و كانوا قد أعدوا لها كاميرات لتراقب الجمهور أثناء حديثها.

الحكاية

الفصل الأول

«لا تصادقي أو تصدقي امرأة كلهن كاذبات»

هـذا مـا كان يكـرره أبـي كلما تحدثـت عن واحـدة من جنس النسـاء. يقول ذلك و ينسـى تمامًا أني واحدة منهن، وأن قوله في اتهام لي بالكذب.

لم أسـتطع أن أعمل بقوله طويلا رغم أني لم أواجه ما ينفي صدق نصيحتـه؛ فحينمـا أعـود بذاكرتـي أول مـا أراه من طفولتـي عندما بـدأت أعـرف الفتيات و أتعامل معهن وأقول لنفسـي لا يهمني إنْ كن صادقات أم كاذبات، إني أشـاركهن اللعب، مجرد لعب لن يؤذيني شيئا كما أنه لا يمكنني أن ألعب بمفردي، تتبلور صورة تلك الزميلة التـي كانت تضربني أو تدفعني مرات عدة و في كل مرة تدعي أنها لم تكن تقصد.

كانـت كاذبة. نعـم كانت كاذبة فإن لم تقصـد مرة فلتحترس المرة التالية لكن ذلك لم يحدث، ثم إن إحساسـي و حواسـي كانا يؤكـدان لـي دوما أنها تقصد ما تفعله. لقد كانت تدفعني بقسـوة و قوة لا يمكن أن تكون عفوية. أحيانا كنت أظن أنها تحمل لي حقدا كبيرا لا أعرف أسبابا له.

و ذات مـرة وصـل غيظها مـداه فدفعتني حتى أصبت بكسـر في يـدي، لن أنسـاه. حينها فقط ذكرتُ مـا تفعله لأبي فما كان منه إلا أن قال:

- ألـم أنهـكِ عـن الحديـث أو اللعـب مع الفتيـات ألـم أخبرك عن كذبهن مرارا؟

- أريد اللعب..لا يمكنني اللعب وحدي.

- وهل تلعب الفتيات فقط؟!

كنت أتابع ملامح رجولته و نظرته الصارمة و أنا أخبره:

- لا أحب ألعاب الصبية لا أحب قسوتهم.

ابتسم و كأنه فهم ما أعنيه فما كنت أعني بوصفي للصبية أحدا غيره.

صمـتَ ولم يعطنـي ردًا ، فتركته و ذهبت إلى غرفتي و أنا أفكر فـي بديـل عن اللعب.. لن ألعب مع البنات مرة أخرى و كذلك لن ألعب مع الأولاد ، فلعبهم لا يستهويني.

كان مـا يفكـر بـه أبـي وقتهـا أكبـر كثيـرًا مـن سـني و من تفكيري، فرغم أنني أعيش وحيدة معه إلا أنني لم أحاول أنْ أسـأله عن أمي بسـبب ذلك الضجر الذي يظهر في عينيه كلما ذكرتها. لم أكـن أحـب أن أغضبه قـط، لذلك كان ممكنًا أن أترك أي شـيء أحبـه وليس اللعب فقط رغم سـني الصغيرة؛ فقـط لأرضيه، دون أن يسبب ذلك أثرا كبيرا في نفسي.

مرّت سنوات التعليم الابتدائي و أنا لا أتحدث إلى أحد غير والدي، الـذي كان لـي بمثابة كل العالم أبي وأمـي و أخوتي و معلمي. كان كل شيء في حياتي. كنت أسمع أصدقائه وهم يمدحون تربيته لي، لم أشعر يومًا بافتقادي العالم حولي و افتقادي الأصدقاء عندما كان يشاركني اللعب و كأنه طفل مثلي تمامًا.

لكن الإنسـان لا يمضي عمره طفلا و لـو حدث ذلك لما واجه أي مشـكلة فـي حياته؛ فبعـد التحاقـي بالتعليم الإعدادي بـدأت أواجه

أشياء جديدة، أشياء قد علَّمني أبي عن بعضًا منها و ليس كلها..ربما لأن رقة طبعه و نفسه أشعرته بالخجل من الحديث في مثل تلك الأمور خاصة و أنني أيضا شديدة الحياء.

كنت أرى الفتيات المتصادقات في التليفزيون و أقرأ عنهن في القصص. تمنيت أن تكون لي واحدة أحدثها عن المشاعر التي اشتعلت في قلبي و ابن الجيران يتابعني من الشرفة المقابلة. أحكي لها ماذا فعلتُ وأحدهم يلاحقني مغازلًا عند عودتي من المدرسة. أقول لها رأيي فيهم، ما يعجبني و ما لا يعجبني.. هل ينكر أحدكم أنه لم يُفكر في رأي الجنس الآخر فيه ونظرتهم إليه في مثل تلك السِّن؟

أسئلة كثيرة تشغلني و تحتاج لأجوبة؛ لكن نظرتي الوقورة لأبي تمنعني من الحديث إليه تمنعني من مجرد الاستفهام والتساؤل، لما صرت كذلك الآن؟

لما يُلح التفكير في الآخر في هذه السن؟ مُجرد سؤالي له سيطرح احتمالات وتساؤلات ربما خلّفت لديه مخاوف تجعله يتشكك في سلوكي، و إن كانت تربيته لي تمنعه و تحميني من ذلك الشك، فهل سيرى أن الحديث في مثل تلك الأمور أمر ذو منفعة، ربما رآه حديث غير مُجدي و جعل مُجمل إجابته لي ابتسامة حانية.

لكني أريد التحدث؛ أحتاج إلى الحديث فيها. أحتاج إلى معرفة عواقبها و اكتشاف أسبابها و كان ذلك مستحيلا دون أن أختلط بزميلاتي بل و يكون لي صديقة منهن..

ماذا تظنون أن يقول لي أبي، إذا أخبرته بابتسامة ساذجة أنّ ابن الجيران يشير لي كي أنتظره في الشارع، أو ينتظرني عند خروجي من المدرسة؟ هل سيتناسى أبي كل الخبرات التي عاشها في عمر امتد إلى أربعة عقود و يسألني:

وهل يبدو وسيمًا للدرجة التي تجذبك إليه؟

أو يسألني بتعقل شديد و دون أدنى اندفاع منه؛ و ما هدفك من هذه المقابلة؟

ماذا تودين أن تعرفي عنه؟ هل يسمح لي بأن أبوح له بذلك المعترك الذي لا يتوقف داخل رأسي من أسئلة؟

و إن كان أبي ودودًا و متفهما للدرجة التي يمكنه بها أن يستوعب مراهقتي و تهوري، فهل سأجد أنا من الجرأة بداخلي لكي أبوح له بما يعتلج داخل نفسي من رغبات و مشاعر.

مستحيل أن يفعل ذلك، سيقول و هو يحاول أن يرسم ابتسامته التي اعتدتها مع هدوئه:

- عليكِ تجنب الأمر كله بغلق شرفتنا عندما يكون ذلك الشاب واقفًا في الشرفة المقابلة؛ فليس الآن هو وقت الحب

لأغلق أنا النافذة و أراقب الفتى من خلفها.

ذلك ما توقعته عندما أخفيت تلك الأمور عن أبي.

أعلم أنني في النهاية لن أفعل إلا ما يرضيه و دون أن يطلبه مني لأنه علّمني أشياء كثيرة منذ ميلادي، تلك الأشياء هي التي تتوقف عليها قرارتي إلى اليوم. لكن حاجتي إلى فتاة مثلي، صديقة لي لا تتوقف ولا تنتهي.

كانت المرة الأولى التي أشعر بها بتأنيب الضمير و أنا أختلط بين الزميلات باحثة عن صديقة تناسب غرضًا ما في عقلي. أفعل ذلك وأنا أحاول تناسي نصيحة أبي التي لا تغيب عن عقلي «لا تصادقي أو تصدقي امرأة؛ كلهن كاذبات» والتي توقف عن تكرارها بعدما أيقن أني قد أخذت و اقتنعت بها تمامًا.

الفصل الثاني

كانت الفتاة التي تقربتُ إليها أكثر تبدو أكبر مني في السن. كنت أحب أن أسمع عن مغامراتها مع الشباب، ورغم عدم اقتناعي بشيء مما تفعله إلا أني كنت في غاية الإصرار على البقاء إلى جوارها و الاقتراب منها أكثر. أخبرتني أنها تعيش وحدها مع جدتها بعد وفاة والدتها و سفر والدها إلى كندا و زواجه من امرأة أخرى هناك. و كثيرا ما كانت تشكو غياب والدها الذي يأتي لزيارتها مرة كل عدة أعوام ثم يرحل من جديد. كانت تقول أن جدتها قد ترعاها جيدا في أحيان كثيرة، لكنها دائما تفتقد وجود والدها.

أخبرتني أنها تحتاج إلى أشياء أخرى غير توفير الطعام و إعداد ما تحتاجه من ملابس و تعليم، تحتاج من أبيها أن يطمئن على سعادتها لا على صحتها فقط في كل مرة يهاتفها فيها.

كان داخل تلك الفتاة عالم جديد تمامًا بالنسبة لي، عالم محرّم.هذا هو ما جعلني اتقرّب منها. أردت أن اكتشف عالمها دون أن أدخله و دون أن أعيشه و دون أن أتعمق في أسباب انتمائها إليه. لم أكن أتفهم حينها السبب الذي جعلها مُصرّة على الاحتفاظ بي، بفتاة ساذجة مثلي إلى جوارها دائمًا. كانت تحب أن أرافقها في الطريق إلى المدرسة ذهابا و إيابا. رأيتها تتوقف مع الشباب بجرأة تدهشني. لم يكن شاب واحد يستوقفها بل كانوا عدة شُبان أعمارهم مختلفة و سماتهم مختلفة و لكنها تُكرر لهم نفس الكلام تقريبا و كانوا أيضا يقولون نفس الكلام و كأنهم جميعًا قرأوه في كتاب واحد.

كانت حياة تلك الصديقة ، التي لم أحدد هل أنا اخترتها أم هي التي اختارتني؛ حياة غريبة عني لم أحبها قط إلا أنني كنت أشعر و كأنها كتاب جديد مملوء بالصور و الأساطير ، كتاب شيق وجذاب و ليس به إلا خيالات تتراقص أمام عيني و تُلوِح لي أن أظل أنظر و أتابع ليس أكثر.

لكن هل ستظل الصور مجرد خيالات في الكتاب ، ألن تتحرك لها نفسي و تندفع مثلما اندفعت تلك الصديقة؟

هل سأظل أتابع باتزان؟ لكن إلى متى و حتى متى ستظل عيني تنظر و قلبي لا يتحرك؟

طلبت مني الصديقة ذات مرة أن تزورني وكنت لم أحسب لذلك بعد ، فقد عرفتها لغرض و ذلك الغرض لا يتطلب زيارتنا في المنزل فوجودنا معا في المدرسة بالإضافة إلى الوقت الذي نمضيه في الذهاب و الإياب كافٍ للتحدث عن أشياء كثيرة فما جدوى زيارتها لنا في المنزل. أعلم أن ذلك ليس العذر الوحيد الذي جعلني أعتذر لها عن زيارتها لي بالمنزل و لكني كنت أعلم بوقوع كارثة لو علم والدي بوجود علاقة سطحية بيني و بين فتاة. طلبت مني رقم الهاتف أعطيتها إياه و معه عدة تحذيرات بعدم الاتصال إلا في الأوقات التي أحددها لها و ألا ترد حتى تتأكد أنني من يتحدث إليها. كنت أخشى لو تحدّث لها والدي واكتشف الأمر ، سيسألني لِمَ لمْ أستمع لنصيحته ، ثم يلومني لأنه الأكثر حبًا لي و الأكثر اهتماما بي و عليّ أن أهتم بقوله.

(الحب قيد. نعم إنه قيد قاس بل أقسى القيود التي يمكن أن تضعها حول عنق أي إنسان. أغدقه بالاهتمام والرعاية والاحتواء وقدم له كل ما يمكن تقديمه ليصبح سعيدا و قيده بتلك الكلمة..

أنـا أكثر من يحبـك، أكثر من يهتم.. أنا أكثر من يُعطي، فيجب أن يُطـاع. هنا تظهر القيود، القيـود التي يصنعها المحبون. لكن هل تظنون معي أن الحب الحقيقي يجب أن يكون فيه منة و قيود..

و ماذا إذا وُجدت المِنة و القيود هل يصبح مسـمى الحب مناسـب للعلاقة؟..هذا أمر مُحير و يتكرر كثيرا بين البشر).

حصولي على جهاز تليفون يخصني يسَّر إخفاء تلك العلاقة. كنت حريصـة علـى أن يكون بجواري معظـم الوقت. تنبه أبي بسـرعة إلى سـلوكي، لأني كنت أتصرف عندما أسمع جرس الهاتف و كأنني أتحدث إلى شاب سيئ دون علم أهلي..

الفصل الثالث

تغيـرت نظرات أبـي لي. لم تعد عيناه تتابعنـي بتلك النظرة المحبة الواثقـة و لكنهـا تحولت إلـى نظرة قلقة كلها لوم و شـك. رغم ذلك لم يفعل شـيئًا تجاه تصرفاتي و التي يمكنني أن أصفها بالمريبة، لو كنت في موقف أبي حينها.

مرَّ شهران و تلك الصديقة تتقرب مني أكثر و أكثر. دعتني ذات مـرة للذهاب إلي منزلهـا، لكني اعتذرت خشـية التأخير الذي ربما يعطي لوالدي مبررًا جيدًا للتحدث عما يدور في عقله تجاهي.

علمتني الصديقة أشياء كثيرة ما كان لي أن أعرفها من والدي، أشياء من أسرار النساء و علمتني أشياء أخرى كنت استنكرها على الزميـلات لكنـي عندمـا تعلمتها؛ لم يعد اسـتنكاري لهـا ذو معنى. تعلمت من أين و كيف أحصل على مساحيق التجميل و أهمية الزينة، لـم أقتنع بشـيء مما تقوله و لكنـي كنت دائمًا في شـغف للتجربة؛ التجربـة التي لا يتناسـب معهـا البيت فكنت أخفي تلك الأشـياء في جيب خاص في حقيبتي المدرسية لأستخدمها وإياها عند انتهاء اليوم الدراسي.

علمتنـي الصديقـة أن أفهـم تلميحـات الشـباب وإشـاراتهم، ذلك الشـيء الذي لـم أظن أو أطمح يومـا أن أصل إلـى تفاصيله؛ أصبحت أجيـده بمجـرد نظرة أو نبرة صـوت. لقد أصبحتُ أعي مـاذا يريد أي منهم من مجرد اسـتماعي لنبرة صوته و طريقة نظرته حدث ذلك بعد معرفتي بها بثلاثة أشهر فقط...لقد أدخلتني الصديقة إلى عالم آخر، عالم عرفت فيما بعد أنه ليس عالمي.

(لا تخطئوا الظن بي أنا لم أصاحب شابًا أو أصافحه مجرد مصافحة. لقد علمني أبي مكارم الأخلاق و لازلت أحافظ على التزامي بها.. أعلم أن بعضكم سيقول أني لو وجدت الفرصة لأصاحب لفعلت؛ لكن تلك ليست حقيقة فأنا لم أرَ رجلا يستحق الحب غير أبي.. إن أبي يعطيني الإشباع النفسي الكافي الذي يُحصنني من الوقوع في شباك أي مستهتر حتى لو كان حبه لي يمثل قيدًا في أوقات قليلة..لكن في أوقات معينة تكون القيود حماية).

دون أسباب واضحة، أصبحت أتشكك في علاقتي بها. أصبحت أرى أن علاقتي بها شيء سيئ لي و أنّ والدي كان صادقا فيما قال عن النساء «إنهن كاذبات». لكنني من اخترتها و اخترتها لهدف محدد و قد حققت لي ما أردتُ من معرفتها بل وأكثر..

لم أفكر في عاقبة معرفتي بفتاة بمثل خلقها و أثر ذلك على سمعتي مثلا. لقد كنت قبل معرفتي بها أقابل كثيرا من المعاكسات التي تمر كالنسيم تمرّ بسمعي و لا ترسخ في عقلي.. لأنني لم أكن أعلم ماذا تعني و كيف يكون الرد عليها. وأقرب مثال أذكره هو فتى الشرفة المقابلة لنا الذي بدأ يتابعني منذ تفتحت بسمتي للدنيا فكانت وجنتي تتفجر احمرارا و أحاول ألا أبدي له أي اهتمام. كنت أظن به جنونا و هو يشير ناحية الشارع، لم أكن أتفهم أنه يقصدني أبدا بحركاته.

قبل معرفتي بتلك الصديقة التي أخبرتني أنّ علاقة الشباب بالفتيات لغرض التسلية ليس بها ما يعيب، طالما أنها في حدود الاحترام. إن ما تقوله مخالف لكل ما تعلمته في طفولتي و مخالف لفطرتي، لكن رؤيتي لها كل يوم واستماعي إليها و هي تتحدث عن علاقاتها بالشباب دون ممانعة من أهلها رسّخ في نفسي قواعد جيدة لاستقبال حديثها و تصديقه و ذلك ما جعلني أغير اتجاهي مع فتى

الشرفة و أوافقه أن ينتظرني عند الخروج من المدرسة.

لا يمكنني أن أضع وصفًا لشعوري و أنا أقابله للمرة الأولى.. أو تحديد إذا ما كان شعور جيد أم سيء فقد كنت كالذي يُساق لفعل بغير إرادة. يساق لفعل على سبيل التجربة لا الفضول الذاتي. التجربة التي دفعه غيره إليها. تساءلت و أنا أجلس إليه ما الذي أفعله ولماذا؟

إلى أي طريق تسوقني قدماي؟ وهل صارت قدماي هي التي تسوقني أم عقلي كما كنت في الماضي؟

كانت تجلس بعيدة تراقبنا ، و تنظر لي نظرة أفهمها جيدًا. و أنا أشعر بدقات قلبي تتسابق داخل صدري.. تتسابق لتبتعد عن أمر ما.. أمر مخيف.. أمر ترفضه نفسي قبل جوارحي.. أمر ستكون بدايته الآن و نهايته اللّه وحده هو الذي يعلمها..

قطع صمته بجملة أثارت فيّ فزعًا :

- أعرفُ والدكِ

نظرتُ إليه و كادت عيناي تجحظ من هول المفاجأة، فقال:

- أراه كل صباح يحتسي قهوته في شرفة منزلكم..

هدأتُ قليلا عندما علمتُ أنّ تلك هي حدود معرفته به، ففي قاموس مفرداتي ما أفعله جريمة لا أحب أن يكتشفها أبي..نعم إنها جريمة واعترف بذلك..

(اسمع هجومكم.. ولما تقترفين الجريمة و قد علّمك والدك مكارم الأخلاق. اعترف مرّة أخرى أني لست أدري لما وقعت في الفخ وأنا أراه و لما ارتكبت جرمي و أنا أعلم عاقبته و عقوبته.. ربما كانت تلك طبيعة نفوس البشر كي نستغفر ونتوب..و ربما كانت تلك حقيقة النساء مثلما قال أبي «كلهن كاذبات» ربما ما أنا إلا امرأة كاذبة. لكن أبي كان يقول أني لست ككل النساء لأني امرأة ربّاها رجل).

صار حديث فتى الشرفة محببًا لأذني..يشيع في نفسي إحساس لم يمكنني ساعتها أن أفسره أو أصفه و لكنه يولّد داخل نفسي رغبات جديدة لم تتفتح لي أبواب معرفتها من قبل.. رغبات تجعل دافعي لرؤيته يكبر كل يوم عن سابقه. أحيانًا كان يقول كلامًا مكررا سمعته كثيرا في الأفلام أو من أصدقاء صديقتي إلا أن هناك شيئا جديدا هذه المرة و هو أنه يُقال لي. إحساس رائع ينتابك إذا ما شعرت إنك مرغوب ممن حولك عامة و لكنه يكون مختلف الروعة إذا ما كانت تلك الرغبة من جنس تفكر كثيرا في نظرته إليك..

إحساس يتبدد تماما و يتلاشى مع أول خطوة أخطوها داخل المنزل و شعوري بالعجز عن النظر في عيني أبي الذي وهب لي حياته و وقته و ماله. كان يتبدد ليحل محله سؤال لم أستطع أن أجد له إجابة وحدي..

ما نهاية تلك الرغبة..ماذا يريد فتى الشرفة مني؟ هل علاقتي به حقًا مجرد تسلية؟ هل يتسلى عاقل بشيء يقتحم عقله و وجدانه بهذه الطريقة؟ رغم إحساسي الشديد بالخجل من والدي الذي كنت أشعر أنه يدري بكل ما أفعله دون أن أخبره به.. لكنه أبدا لا يواجهني، لم يطلب مني أبدًا شيئا محددا و أصبح يكرر

- لقد أصبحت أراك تبتعدين عني..هل هناك ما يشغلك؟

كنت أجيب كل مرة بابتسامة باهتة:

- لا شيء أكثر من الدراسة..

لماذا يسأل.. ألا يجب أن يبحث و يعرف بنفسه، فإذا كان يعرف أن النساء كاذبات فليعرف فيما تفكرن و هن في الثالثة عشر ألا يقرأ الأدب و يترجمه؟ ألم يقابل روميو وجولييت أو يُلاحظ ضلال سكارليت في وهم حب و هو يقرأ (ذهب مع الريح) أو يقرأ غيرهما من القصص التي لا حكاية فيها سوى تعلّق قلب امرأة برجل أو العكس، لما لم

يعرف أن النساء يمكنها أن تكون فرائس للرجال أو فرائس لأوهام حب يعشنها في الخيال فقط. ألم يكن يعلم أني أمر بمرحلة أحلام اليقظة.

(أراكم تبدؤون هجومكم ثانية.. تهاجمونني و تتركوه.. أنا المخطئة و قد سعى أبي بكل إخلاص نحو تربيتي.. أنا من سعت نحو هواجسها دون تعقل.. تهاجموني جميعًا و كأنكم لا تخطئون.. كل بشر منكم مُخطئ، لذلك جعل الله الاستغفار فلا تنصبوا لي المشانق أو تُعدوا لي الأسواط و اسمعوا حكايتي للنهاية..)

أخبرتكم أن أبي كان يشعر بكل ما يحدث؛ لكن شيئا ما كان يمنعه من الحديث معي بوضوح. كنت أتمنى أن يسألني بلسانه و يحدثني دون خجل منه.. نعم لقد كنت أشعر أنه يخجل من حديثه عمّا يدور داخلي. كان يستبدل ذلك بنظرات لوّامة تنفذ إلى قلبي دون عقلي، فاستمر على ما أنا فيه رغم عدم اقتناعي؛ فماذا أفعل غير الخطأ ما دمت لا أعرف الصواب؟

علاقتي بفتى الشرفة كانت تتطور قليلا.. قليلا إلا إنها كانت تتطور. لايزال شابًا في الثانوية.هو جذاب أشعر بالسعادة و أنا إلى جواره. لاحظت أنّ بصره لا يتجه إلي على حد سواء، فسعيت إلى تجميل ما تبحث عنه عيناه ودون أن أفكر لما تبحث عيناه عن تلك الأجزاء خاصة..بل دون أن أسأل لما يتفحص في جسدي و نحن نتحدث في كلام لا علاقة له بالجسد على الاطلاق. كنت في البداية أشعر بالحياء من نظراته لكن شيئا فشيئا و بعد حديثي إلى صديقتي صار هذا الأمر يعجبني؛ بل كنت أحيانا أحاول لفت انتباهه إذا لم أشعر باهتمام منه و أردد في نفسي؛ ماذا سيأخذ مني بعينيه..لن تنتقص نظراته مني شيئا.. أستطيع أنْ أحمي نفسي لو اقترب بحاسة غير النظر.. ثم أردد داخل نفسي إن الناس لابد أنْ تعرف قدر الماس حتى تشتريه ولا يعرف المرء قدر الشيء إلا إذا اقترب منه وتفحصه...

(أرى بعضكم قد فتح فاهه دهشة، يظن أني قد عدمت الحياء و آخرون منكم أرى عيونهم تلمع حماسة لما أقول.. إنها المرة الأولى التي أشعر الانقسام بينكم حول قصتي. انتظروا ربما تلتقون مرة أخرى)

لم أكن أعي أثناء ذلك الوقت أنّ الماس رغم حب الناس له و جمال شكله و حتى رغم ارتفاع سعره إلا أنه لا يعدو إلا أنْ يكون شيء جامد بلا حياة و مال مكتنز يمكن الاستغناء عنه عند أول أزمة تقابل صاحبه. فضلا عن ذلك، فقد كنت أتجاهل نفسي كمخلوق كرمه الخالق و أتعامل معها كما يتعامل الجزار مع الماشية في سوق البهائم لذلك لم أذكر أو أفكر في أن الجزار لن يشتري الماشية ليطعمها و يسقيها ثم يتركها تتمتع بالحياة إلى جواره فهو حتمًا سيشتاق إلى ذبحها و يشتهي لحمها كي يمضغه في لذة و هُنا فقط يكون قد حقق الفائدة المرجوة من شرائه للماشية. و تكون أمرًا وانتهى...

لقد اشتاق فتى الشرفة أيضًا للبهيمة التي استبدلت بها نفسي و نفد صبره عني و انقضّ عليّ مرّة يُقبلني و كنتيجة لمقدمات طويلة لهذا الفتى معي كان ممكنا أن أسعد بقُبلته ولكن ذلك لم يحدث بل كانت كالصرخة العالية التي أيقظت كل ما غرسه والدي بداخلي من قيم خلال كل السنوات الماضية.

انتفضتُ من بين يديه لأجري و كأني أجري في صحراء لا أحد فيها غيري، لم أنتبه إلى صديقتي المزعومة و هي تلاحقني بندائها و لا إلى الناس الذين ينظرون إلي كالمجنونة. كنت أجري لأهرب من شيء ما و حتما لا يهرب المرء من سعادته و لكن يهرب مما يؤذيه. لم أكن أجري لأني أشعر أني أمتلك العالم كله بين يديّ بل لأني شعرت أنّ العالم كله ربما يسحقني تحت قدميه..

❖ ❖ ❖

الفصل الرابع

وصلت المنزل و كان أبي لم يعد بعد من عمله. كان هذا جيدا كي لا يلحظ ما بي من خوف وهلع.

كنت أفكر في فتى الشرفة لما لم يصبه الخوف مثلي؟ لما أصابني الخوف وحدي من دونه؟

هل لأنني أحمل بداخلي من الأخلاق ما يمنعها عن الخطأ و هو لا يحمل شيئا يُشعره بمجرد الإثم تجاه ما فعل؟

أم أنه كان مستعدًا وكان الأمر لي مفاجئة؟ وكيف يفكر في فعل ذلك لوكان لديه الحد الأدنى من المعرفة لحدود الذوق لا الأدب أو الاحترام؟

فهو يستأذنني إذا أراد أن نتشارك شرابًا في كوبين منفصلين. هل يقتحم جسدي بتلك البهيمية؟

أكل هذا لأن المجتمع سيلومني في النهاية وحدي من دونه؟

سيظل هو البطل المغوار الذي استطاع بكل حنكة خداع فتاة والإيقاع بها و أكون أنا الحمقاء الساذجة التافهة التي سقطت في الفخ و بناءً عليه يجب أن تقع عليها عقوبة رادعة من ذلك المجتمع الشريف العفيف المتدين الذي يطبق العدالة في كل شيء. المجتمع الذي يرفض العدالة دائما مع الضعيف و أضعف ما فيه امرأة أصيبت في عِرضها.

(لماذا تُشيحون بوجوهكم عني و تودون لو تتركوني و ترحلون؟ ألستم من إذا زنا الرجل قبلتم خطأه و قلتم سيتزوج و ينتهي، و إذا

اغتصبت الفتاة صارت عارًا على قومها و ربما قتلوها و إن لم يفعلوا فيُخادعون لإخفاء ما حدث لها. فالزيف لا يُعالج إلا بالزيف. و يظن ذلك الذي ظلمها بحماقته، أنه ناجٍ.. هل ينجو ظالم؟!)

هل تعلمون لمَ هربت من قُبلته، بل لمَ اقشعر بدني خوفًا بمجرد أن شعرت بها، لأني كنت في الثالثة عشر و كنت أعلم أن هذه القُبلة هي بداية شيء آخر أكبر و أعمق ينتهي بجنين يتحرك خلف الأحشاء.

لكم أن تعرفوا من أين لي بتلك المعلومات فأنا طفلة وحيدة تعيش مع والدها أستاذ الأدب الانجليزي والذي كرّس حياته من أجلها بعد انفصاله عن أمها..علمني القراءة و عمري ثلاث سنوات كنت أقرأ باللغتين و أنا في السابعة بدأت في قراءة الأدب العالمي و أنا في العاشرة.. كان أبي يُدرك جيدًا حجم إدراكي للأمور لذلك كان يشعر بالخجل من الحديث معي كأنثى خاصة و أنه يتفهم اندفاعي و تهوري كمراهقة.. و رغم كل ما أعرفه لم تتوقف بداخلي رغبتي و اندفاعي نحو التجربة و الخوض فيها، لكن تلك المعرفة هي التي دفعتني إلى التوقف نهائيا لحظة إحساسي بالخطر. المعرفة هي ما احتميت به حين كدت أنجرف لكارثة أكبر.

❖ ❖ ❖

الفصل الخامس

احتمالات كثيرة دارت في ذهني و أفكار كثيرة تزاحمت في عقلي.. كدت أجن.. أردت أن أصرخ وأن أرتمي في أحضان أبي و أطلب منه الحماية من خطر يلاحقني لكني لم أستطع أن أنظر إليه عندما فتح باب الغرفة و سألني عن سبب جلوسي بمفردي في غرفة مظلمة. أحسست برغبة في الاختفاء عن عينيه و رغبة شديدة في أن يضمني إليه.

لا تزال تساؤلاته تطل علي من نظراته كسهام قاتله و رغم ذلك لا يتكلم.. ربما لأنه لا يدري ما يقول. ربما لأن قلبه يرفض تصديق مخالفتي له و لما علّمني من مبادئ. لا يستطيع أنْ يُصدق أني أهدرت ثلاثة عشر عاما قضاها في تربيتي.. لكنني أبدا.. لن أضيع عمره الذي سخره لأجلي و لن أنسى كلمة واحدة مما علمني إياها مهما طالت بي الحياة.

عند المساء حضر أبي إلى غرفتي مرة ثانية. كنت لا أزال أجلس على حالتي السابقة، النوافذ مغلقة و الغرفة مظلمة و أنا أجلس مستيقظة فوق سريري. أضاء الغرفة و اتجه نحو النافذة و هو يقول

- أعلم أنكِ تمرين بمشكلة.. ربما تكون صعبة و لكني أثق أنك قادرة على حلها فلو كنتِ في حاجة لمساعدتي لسردتها علي.

لم أنطق بكلمة. بل لم أستطع الكلام لأن حلقي كان يؤلمني نتيجة لبكائي الصامت طوال الساعات السابقة. تابع أبي قائلا بعد أن فتح الشرفة:

لمَ لا نجلس سويًا بعض الوقت، ربما شعرتِ ببعض التحسن. ونظر لي بنظرة شعرت منها أنه يعرف كل شيء عن الشرفة و وقوفي بها و

مواعدتي مع فتى الشرفة المقابلة كل شيء مرّ أمامي و كأن والدي يعيد علي شريط سينمائي لكل ما حدث بابتسامته هذه..

استجمعت قوتي و قلت:

- بابا.. أشعر بالبرد.. هل يمكن أن تغلق الشرفة؟

- إنَّ البرد الذي تشعرين به ليس نتيجة هواء الشرفة و لكنك لم تأكلي أي طعام منذ عودتك من المدرسة.

كان أبي يحاول أن يشملني بحنانه و هو يحدّثني، رغم علمه أنّه قد يكون خلف خوفي كارثة، لكن هل كان يعلم حدودها، لذلك كان محتفظًا بهدوئه.

حاولت أنْ أرسم ابتسامة على شفتي و أنا أقول:

- وهل يمكنني أن أتناول طعامي الآن؟

و علّق وهو يتوجه للباب.." سنتناول الطعام في الشرفة ".

وقتها، كنت أتمنى أن تختفي تلك الشرفة و كل الشرفات التي في المنزل بل كل الشرفات التي في العالم و أوشكت أن أصف بلفظ سيء ذلك الذي ابتدع وجود الشرفات في المنازل. لم أحاول أن أنظر تجاهها و أنا أغادر الغرفة لأشارك والدي في إعداد الطعام، لكنه طلب مني أن أذهب لأضع كرسي آخر بالشرفة ثم أعود إليه. حملت الكرسي و اتجهت به نحو باب الشرفة و أنا لا أرفع نظري عنها حتى لا أراه..

إحساس شديد بالخزي داخل نفسي مما فعلت و إحساس آخر بالمقت تجاه ذلك الفتى.. نعم، كنت أشعر وقتها أني أكرهه أكثر من كرهي لأي شخص أو شيء في حياتي.. لأنه أوشك أنْ يفقدني إحساسي بلذة الطهارة بعد فعلته. جعلني لا أطيق أن أرى نفسي في المرآة، أشياء كثيرة انتزعها من كبريائي مع قُبلته و أهمها

إحساسي بالكرامة.

(ربما أن بعضكم قد استحسنني في البداية لكن الآن فقد فقدت نصف ذلك الاستحسان لمجرد أنني وثقت في أحد الرجال؛ فاغتصب مني و أكرر أنه اغتصبها .. من فتاة في الثالثة عشر.. اغتصب قُبلة...لكني أذكركم أن الله جعل الخطأ و جعل التوبة و ما حدث منه كان بداية رجوعي عن الطريق التي ربما ضعتُ فيها)

الفصل السادس

حملت الكرسي واتجهت نحو الشرفة و بحركة لا إرادية رفعت عيني نحو الشرفة المقابلة لأشعر برعشة تسري في جسدي و كأنني تعرضت لماس كهربائي. إنه ينتظرني منذ وقت طويل.. حاولت تجاهله لكني لم أستطع و نظرت إليه نظرة جامدة بلا معنى..ثم تركته دون رد و عدت إلى والدي في المطبخ. كان يُعد لنا شرائح لحم و خبز و بعض الخضروات الطازجة. حملت معه أطباق الطعام و اتجهنا إلى الشرفة و الفتى لايزال واقفًا. نظر إليه والدي نظرة متفحصة ثم نظر لي و ابتسم، ثم انصرف فتى الشرفة إلى حيث يختفي عن نظرنا.. ابتسامة أبي كانت تمثل لي لغزًا كبيرا لا أعرف له حل.

حاولت أن أتناسى كل ذلك بعد اختفاء فتى الشرفة داخل بيته.. حاولت أن أتناسى كل ما مرَّ بي ذلك اليوم و قررت أن يكون صفحة منتهية في حياتي.. سأغلقها و أقطع علاقتي بصديقتي المزعومة و أتجاهل فتى الشرفة و أعود إلى حياتي السابقة قبل معرفتهم.

كنت أحب مداعبة والدي بالحديث فقد كان يمضي أغلب وقته معي و أعلم أنه لا يوجد في حياته من هو أحب إليه مني، فقلت:

بابا.. هل لي أن أعلم سِر ابتسامتك بعدما نظرت إلى ذلك الشاب؟ هل تعرفه؟

و بدأ أبي اجابته بابتسامة أخرى و كأنه حقق نصرًا بسؤالي له، ثم قال:

لقد تذكرت نفسي و أنا في مثل عمره، كنت كثير الوقوف في الشرفة متظاهرًا بالمذاكرة و ما كان وقوفي ذلك إلا لمتابعة ابنة

الجيران عندما تخرج إليها ، سألته :

- و لماذا كنت تتابعها؟

فتنهد بعمق وقال:

- كنت أظن أني أحبها

- تظن...؟

- نعم مجرد ظن..لأن الحب بالدرجة الأولى هو إحساس بالمسؤولية تجاه من نُحب.. نهتم لسعادته و نجاحه و كل أموره؛ أما أنا فلم أشعر بذلك قط تجاهها.

كانت تراودني رغبة في الاقتراب من فتاة.. مجرد اصطحابي لفتاة أمام أقراني كان يزيد من إحساسي برجولتي التي كانت في بداية تكوينها. كنت أريد التحدث إليها و اكتشاف عالم جديد. أردت أن أباهي بأني أواعد أجمل فتاة في الحي. لم أكن أفكر في أنني أشغلها عن دروسها ، أو أنني أدفعها للكذب بعلاقتي معها.. إن كانت صالحة فأقل أذى سيصيبها هو تأنيب الضمير و عذاب النفس جراء ذلك الكذب. وإن كانت سهلة فالأذى و الخسارة سيكونان أكبر و قد يكونا غير قابلان للإصلاح لأنها لن تدركهما إلا بعد فوات الأوان.

سكت قليلا ثم تابع:

- لم أفكر و لو مرة في نهاية لأمري معها ، كانت بؤرة تركيزي أن أقنعها بأنني فتى رائع.. لم أكن أهتم لشيء فيها غير جمالها.. أقصد جمال شكلها.

كان يصف ما يحدث بيني و بين فتى الشرفة و كأنه كان رفيق جلستنا. أيقنت وأنا أسمعه أنه يعلّمني دون أنْ يعلِمني بذلك. أحسست أنه يملك رسمًا تفصيليًا لكل أفكاري ، ليس فقط لي ، بل لفتى

الشرفة أيضًا..

كان الأجمل من أبي أنّه لم يدّعي المثالية في مراهقته وأنه تخطاها من دون أخطاء. إنه يقول لي إنه أخطأ أيضا وهو في ذات السن و لكنه لم ينجرف خلف خطأه حتى يصير خطيئة.. كأنه كان يقول كلنا مُخطئ فتحدثي و اطلبي النصيحة ممن تثقين في محبته.

فجأة وجدت نفسي أعود لاندفاعي القديم في إلقاء التساؤلات عليه، فقلت:

- لكن لماذا في تلك السن دون غيرها تراودنا هذه الرغبة..لماذا؟

- في تلك المرحلة يفوق النمو الجسدي نمو العقل والخبرات بمراحل كبيرة..فنندفع نحو التجربة دون تعقُل لكي نُحصّل من الخبرات ما يجعلنا نبدو مثل الكبار. و ذلك يحدث غالبا بسبب التغير الهرموني الذي يعتبره الشخص أشبه بطفرة مفاجئة تحدث لجسده بل لكل شيء في حياته.

سكتَ قليلًا ثم قال:

- كان من الأفضل أن تلجئي لي منذ البداية. ما كان عليكِ الكتمان.

- هل كنتَ تلاحظ كل شيء؟

- ألم تفهمي أني ألاحظ؟

- كنت أفهم لكني لم أدرك ما يجب عليّ فعله..

نظر إلى الشرفة و تابعني قائلا و الابتسامة لا تفارق ملامحه:

- ابن الجيران، ربما يكون جيدا، لكن الآن ليس الوقت الذي يجب أن نختار فيه..

و أشار إلى رأسي ثم تابع:

- مازالت هنا ثورات لم تهدأ..و أفكار لم تستقر..أمامكِ ربما عشر سنوات حتى تفكرين جديا بتلك الأمور.

و كالعادة اندفع قائلة:

- عشر سنوات...هذا كثير

نظر إلي وهو يحاول التظاهر بالجدية

- بنت !

كنت أثق أنّ والدي هو أكثر من يحبني، لذا فقد كان حديثه يرسخ في كل من قلبي و عقلي دون أي عائق. مسح حديثه معي كثيرًا من الألآم التي أصابتني. و بفضول طفلة سألته لأعرف المزيد منه فسألته:

- و ماذا حدث مع بنت الجيران بعد ذلك؟

بابتسامته الودودة أجابني:

- كان علي أن أجمع جهودي لتحقيق شيء هام في حياتي حينها؛ و إن لم يكن هناك أمر هام في حياتي كنت لن أرتبط بها

- لماذا؟

- لأنني كإنسان ميزه اللّه بالعقل.. يجب أنْ يُحدد معيار تقدم علاقته مع أي شخص بالعقل قبل أي شيء آخر. و لأن ميزة الإنسان بعقله فإن من يستخدم عقله أفضل هو الإنسان الأفضل؛ ذلك الذي يعقل تصرفاته و أخلاقه مع غيره. و الحب الذي يدوم و ينجح هو ذلك الحب العاقل المتزن الذي لا تدفعه غريزة و لا تسبقه رغبة و إنما تراحم واحترام. و لو وضعنا معيار آخر مستثنيين العقل للتقييم خرجنا عن القيمة المثلى لنا كبشر و صرنا أشبه بأي مخلوق آخر تحكمه الغريزة.

بعـد سـماعي لأبي قـررت أنْ أكون كما أراد اللّه لـي.. قررت أن أكون إنسانًا.

و يبدو أن انشـغالي بأمر فتى الشـرفة لم ينته بعد ، فكانت أسئلة كثيرة تُلح في عقلي حول فتاة أبي و كيف كان يفكر بها و كيف انتهى أمره معها.

كانـت رغبة مني فـي قراءة ما يدور في عقـول ذاك الجنس الذي اعتبرته غريبًا وقتها و كيف يفكرون بنا في أعماقهم. و هل يخبرني ب لم الحقيقة مثل أبي؟!

كررت أسئلة عديدة عليه حتى أخبرني:

- لـم تكن اختيـارا صحيحا فقد اخترتها بمعايير غير إنسـانية... أتفهمين؟

أجبته باندفاع و عجلة:

- أتفّهم بابا.. الإنسـانية هي الشعور بالآخر. أن نفكر فيما يحقق السعادة للأخر في نفس الوقت الذي نفكر فيه فيما يسعدنا.

طلبت من والدي أن يصحبني في اليوم التالي لنزهة و أنني ليسـت لدي رغبة في الذهاب إلى المدرسـة فـي الغد..كنت كمن أفاق لتوه من صدمة كبيرة و شعر بحاجة للراحة بعد عودته للواقع. استجاب و لم يناقشني في أسباب.

قضيت يومًا كاملًا أتنزه مع والدي في أرجاء المدينة. يوما واحدا معه كان كافيا لاسترجاع كل ما كدت أفقده من تماسكي. يوم فقـط معه يمكنه أن يعود بي من طريق كان هو بعينه طريق الندامة إلـى طريق مسـتقيم تحفظني من المهالك.. يومـا واحدا أدركني فيه في تمام اللحظة التي احتجته فيها..كل البشـر رائعون إذا تدخلوا في الوقت المناسب دون تأخر أو تبكير.

(ذلـك فقـط مـا يحفظكم داخـل قلوبنا؛ أيهـا الآبـاء، أن تكونوا حاضرون في الوقت المناسب..

تبـررون الابتعاد بالانشـغال و تعتقدون أن الانشـغال عنّا لأجلنا. اعذروني إذا فضحت نواياكم، أنتم مشغولون بطموحكم و أهدافكم.. ليس بنا أبدا، حينما تنشغلون لدرجة تضيعنا. نحن بحاجة لسمعكم و قلوبكم أكثر كثيرا مما تسعون إليه معتقدين أنه لأجلنا)

الفصل السابع

كأنـي كبرت عدة أعوام لا بضعة أيام، لم يعد تفوقي الدراسـي هـو هدفـي الأول.. صار لـي هدف آخر، هـدف كان يجـب أن أتعلّم كيف أنجزه بجانب أي هدف آخر و تكون له الأولوية قبل أي شيء؛ إنه السـعادة و الرضا الداخلي. ذلك الشـعور الذي فقدته منذ معرفتي بصديقتي المزعومة. تحدّثت إلى والدي أخبرته أني أريده أن يساعدني كي أحافظ على ذلك.

رغم شعوري بدهشته من طلبي إلا أنه استجاب قائلا:

- إذا وثقتِ في مسـاعدتي لكِ سـتجدينها على الدوام. لا يمكنني أن أتخلى عنك و أنت تثقين بي. أمّا إذا اختفت الثقة فحتى إلزامي لكِ بالصواب لن يكفي لحمايتكِ.

بعـد انتهـاء الإجـازة عـدت إلـى المدرسـة معتقدة بأن كل شـيء كان يُعكر صفاء نفسـي، انتهى و أنني عدت لنفسـي التي أحبها و ترضينـي من جديد؛ لكن ما لبثـت أن رأيت صديقتي المزعومة حتى أوشـك الغضـب أن يلحق بعقلي. تلومني لأنني لـم أرد على اتصالها بي خلال الأيام الماضية. أخبرتها أننا رفعنا الهاتف منعًا للإزعاج. أظهرت تبرمها مني ثم عادت لتقول:

- وهـل توقفتم عن تهوية منزلكم أيضًا منعا للإزعاج. كنت أفهم مـا تقصـده فقلت لها، و قد تعمـدتُ أن تعرف أنّ هـذه العلاقة انتهت بالنسبة لي:

- نعم.

فقالت و هي تحاول المزاح:

- رفعتِ الهاتف منعا لإزعاجك و سببًا لإزعاجي أنا

- ماذا؟!

- إن فتى الشرفة لم يكف عن الاتصال بي يسأل عنكِ.. هل أغضبكِ في شيء؟

- ألم يخبركِ بشيء؟

- نعم.. كان يبدو حزينًا و ربما نادمًا لأمر ما.. ماذا حدث؟

- لقد انتهت علاقتي به

أحسست أن الأمر راق لها و بدلًا من أنْ تسعى لمعرفة أسباب ذلك أو تقول فيه خيرًا كما كانت تفعل سابقًا ، قالت:

- أحسنتِ في قرارك..لم يرُقني منذ البداية فلديه كثير من السذاجة و إن حاول إخفائها..

- سذاجة..؟!

- هل تعلمين ما عليكِ فعله كي تنسيه مطلقًا.

شعرت برغبة في الاسترسال معها في الحديث ، إذ أنها مازالت تقول أشياء لم أعرفها بعد. إنها لم تكشف لي عن كل أسرارها بعد ، مازال هناك الكثير خفيًا. إنها نفس الرغبة التي دفعتني في البداية إلى التعرف عليها. أقنعت نفسي أنه لا ضرر من الحديث معها و كله كلام.. مجرد كلام.

سألتها :

- هل مررتِ بموقف مشابه من قبل؟

- نعم.. لقد مللت أحد أصدقائي حيث أنه لم يعد يجد جديد في علاقتنا.. صار مكررًا لدرجة الملل و لم أعد أشعر بأي نوع من

المغامـرة و أنا معه.. عندما أخبرته أنْ نبتعد غضب و قال أنه يحبني و طلب مني الزواج.

كان هـذا أكثـر مما توقعت سـماعه زواج، كانـت تُحدثني في البدايـة أن الأمـر لا يزيد عن مجرد تسـلية.. وها هـي الآن تتحدث في زواج وهـي لـم تتم الرابعة عشـر مـن عمرها..أي شـيء تبحث عنه في الـزواج، فتـاة في مثـل عمرها. لم أكن أعرف ما يجـب أنْ أقول لها ، لكن رغما عني خرج السؤال استنكاريا مِني:

- تتزوجا..؟! أنتِ في الرابعة عشر

- أعلم أن القانون لن يسمح.. لذلك فقد طلب مني أنْ نتزوج عرفيا حتى نُتم السن القانوني..

- تقصدين أنه أيضا لم يتم السن القانوني..

- نعم.. لكن لا تشـغلي بالك فقد رفضت. لقد مللته صديقا ، فهل أتحمله زوجًا.

- تقصدين أنه إنْ لم تَملِّيه ربما فكرت بالأمر بصورة أخرى..

- لست أدري إن كان أحدهم يستحق..أم لا

لأول مرة أراها حزينة أو أستشـعر حزنًا داخلها تحاول أنْ تخفيه و كأن بداخلها كسـرًا ما تحـاول جبره بتلك العلاقـات المبتورة التي تتنقل بينها؛ لكن مالي أنا بحزنها فقد تركها والدها وسـافر للعمل منـذ كانت طفلة. عاشـت مع جدتها التي أتقنـت رعايتها لكنها أبدًا لـم تـدرك كيف تربي طفلـة وحيدة بـدون إخوة أو والديـن. لم تدرك كيـف ترى طفلة والدها رحل من أجل طموحه أو من أجل جمع المال ثم أونس بزوجة هناك فتناسى طفلته من الزوجة الأولى.

لـم تجـد مـن ينجح في اقناعهـا أن ما يفعلـه كان مـن أجلها و لم يكن إهمالا لها.. لم تجد من يشـفي ذلك الخذلان الذي أصابها وهي

ترسـل لوالدها عبر البريد الإلكتروني أن يعود لأنها تشتاق إليه، لم تجد من يشعر بأفراحها و أتراحها. ربما تهرب مما يؤذيها بالتمرد على كل ما هو مقبول من مجتمع رفضها الأقربون فيه.

لكـن أنا فـلا حاجة لي بكل ما تبحث عنه.. إنّ لي أبًا يغنيني عن الكون.

تركت أفكاري و سألتها:

- و ماذا فعلتِ لتتخلصي منه؟

- تعرفت على غيره..فلا يمكنني أن أعيش بغير صديق

- لماذا؟

- كيف تسـألين و قـد مررتِ بتجربة.. ألا تتمنيـن أنْ تجدي اليوم قبل الغد البديل عن فتى الشرفة.. ليُسمعكِ أحلى الكلمات. يداعبكِ. يُقبلـكِ و يضمـكِ إلـى أحضانه. لا يمكـن لفتاة أن تتعـود غياب رجل بعدما اعتادت حضوره.

كنـت أسـمع كلماتهـا و قد انتابتنـي حالة من الذهـول لم أكن أعرف كيف أقاومها فما أسـمعه منها أقسـى كثيـرا مما قرأت في الكتب. فهي على الأقل مثال حي و كيان أعرفه.

وكلما أضافت كلمة شعرت أن جسدي ينكمش أكثر فأكثر حتى شعرت أنه سيختفي، فقلت بغضب شديد:

- إنـكِ تلقين بنفسـك إلـى التهلكة، مـاذا لو انتهت تلـك القُبل و الأحضـان إلى طفـل يتحرك داخلك.. ماذا لو تحولت لحظات التسـلية و الاسـتمتاع كمـا تزعميـن إلـى أمر جـاد يتوقف عليـه مصيرك في الحياة.. ألم تفكري في ذلك؟

- إننـي سـيدة الموقـف دائمًا.. أعـرف متى أبدأ و متـى أتوقف.. لا

يمكن أن أقع أبدا في الخطيئة. إنّ من تقع فيها هي فتاة ساذجة استطردتْ قائلة:

- لماذا تغضبين لهذه الدرجة؟ ألم تحدث نفس الأشياء بينكِ و بين فتى الشرفة؛ وإلا فلما كنتما تلتقيان في أماكن خلوية بعيدة عن الأنظار إلا من أصحاب نفس الهدف منها. إنها رغبات تُخالط النفوس و إنها طبيعة من تكويننا.. ليس في الأمر مشكلة طالما لم يصل لجريمة أو إنجاب سفاح.

كانت تدافع عن موقفها بكل إصرار و ثقة و دون أدنى شعور بالذنب تجاه ما تفعله. يبدو أنّ كلمة الفضيلة قد اختفت تماما من الكلمات التي تعلمتها منذ ولادتها.

عدت إلى المنزل في حال أسوأ مما كنت عليه آخر يوم قبل إجازتي، كان مزيج من الحزن والذهول و الألم يُخيم علي.. شعرت و كأن عقلي توقف تماما.. فليست الصديقة وحدها التي تفعل ذلك، إنهم كثيرون. شعرت و كأنني وحدي التي لا تضاهي المجتمع. هل كل ما علمني إياه أبي طوال تلك السنوات لا يعني شيئا في حياة اليوم.

قابلني فتى الشرفة في الشارع عند العودة و أخذ يتحدث إلي و صوته في أذني يشبه إعصار يجتاح نفسي من الواقع إلى سراب بعيد. لم أستطع أنْ أرد بكلمة، فأنا عاقل و يجب أن أفكر قبل أن أتصرف و قد فكرت في عدم العودة إليه، كذلك يجب أن أفكر أيضا لو سأعود إليه. أنا إنسان..و يجب أن أحافظ على إنسانيتي.. لكنني أصبحت وقتها إنسان مشتت. هل أنا على صواب أم الضالّ الوحيد بين الآخرين؟

عندما فتحت باب البيت وجدت أبي قد عاد مبكرًا من عمله. عجزت حنجرتي أن تصدر صوتا كي أحييه و توجهت إلى غرفتي، فتحت كل منافذ الضوء بها. أردت أن يعطي ضوء الشمس و هواء الطبيعة القوة لعقلي كي يعاود التفكير و يعطي حنجرتي قوة لأستطيع الحديث؛ لكن ذلك لم يحدث، لم أستطع أن أفكر أو أن أتحدث. أحسست بغضب شديد قذفت بكتاب نحو الجدار و صرخت بصوت عالي جاء على أثره أبي فزعًا يتساءل عما بي والقلق يفيض من عينيه لكني لم أستطع الحديث فبكيت و بكيت أكثر و هو يضمني إليه محاولا أن يطمئنني حتى هدأت.

❖ ❖ ❖

الفصل الثامن

رويت لوالدي كل ما حدث، ليس في ذلك اليوم فحسب بل منذ فكرت في التعرف على صديقة و ذكرت له الأسباب التي دفعتني لذلك. تغيرت انفعالاته تماما و لم يتكلم و لاحظت أن حالة الحزن التي كانت تصيبه كلما سألت عن أمي تواجهه مجددا. لا يمكنه إخفائها عني. بعد صمت طويل قال:

- لقد أخبرتك ألا تصادقي أو تصدقي امرأة لأن كلهن كاذبات

- أبي.. إنني امرأة و لا أحب الكذب، بل لم أكذب قط

- لأنني من رباكِ و علمكِ..أنت امرأة علمها رجل فكيف تكتسبين خصال النساء

- النساء لا تربي النساء فقط؛ إنهن يربين الرجال أيضا

- لكن الرجل قوي.. لا يكذب..أما المرأة فضعيفة؛ و لولا ضعف زميلتك تلك و عدم قدرتها على التخلص من علاقاتها المذمومة مع الرجال لما حاولت الإيقاع بكِ في نفس الفخ.. كلهن خسيسات فبدلا من أنْ يحاولن التخلص من عيوبهن يسعين لإصابة الجميع بها حتى يتساوى الجميع في الرذيلة.

سكت أبي برهةً ثم قال بمرارة شديدة:

- تماما مثلها، كلهن يفعلن كما فعلت هي منذ سنوات إنها وكلهن يتصفن بالخسة؛ صفة ملتصقة بهن أينما كانوا.

كنت منشغلة في ملامحه التي تحولت لبؤس شديد و هو يذكر كلماته الأخيرة. لم أسأله من يقصد بـ(هي) و إن كان أغلب الظن

يرمي إلى أنها أمي. تركني وحدي بعدما أتمّ حديثه. شعرت أني جددت جراحا أوشكت أن تختفي من نفسه.. حزنت جدا لذلك. لا أحب أن أكون سببا في حزنه و لو بقدر ضئيل. لقد أخبرته الحقيقة كاملة لأني أعلم أنه لن يصدّقني النصيحة مثله.

(تراجعوا عن نظرة الاتهام التي تملأ عيونكم.. نعم لقد نصحني من البداية و لم استمع.. لكني لم أخفي عليه لأني أريد أن أعصاه.. لقد خشيت غضبه، غضبه الذي لم أفهم دافعه الحقيقي إلا مؤخرا.. كان عليه و عليكم أيضا أن تتفهموا اندفاع مراهق.. لم نعد بذات القيود التي كانت تحكمكم صارت الحركة خلف الرغبة والغريزة أيسر و أسهل.. إننا لا نخاف منكم فقط. إننا في أحيان كثيرة نخاف عليكم من مواجهة صورتنا الحقيقية المشوهة و التي تخالف تماما الصورة التي تسعون طوال حياتكم لتكوينها لنا.. أنتم عليكم جزء من الجريمة، ليس نحن فقط فأنتم تخشون مواجهة الواقع، تماما كما نخشى نحن مواجهتكم)

مضى أكثر من ساعة وكلانا يجلس في غرفته منفصلا ، آلمني ما أصابه مني فذهبت إليه معتذرة ، فقال والحزن لم يختفي من ملامحه و لا من نبرة صوته الخافتة :

- لا عليكِ..لستِ أنتِ السبب في أحزاني.

لاحظت أنفه النازف و هو يحاول إخفائه عني، طلبت منه زيارة الطبيب للاطمئنان عليه. ذهبنا سويا لأكتشف أن والدي مصابا بارتفاع ضغط الدم و هذا ما جعل أنفه ينزف عندما غضب. قال الطبيب أن نزيف الأنف كان نتيجة انفجار شعيرات دموية دقيقة بها عند ارتفاع الضغط و أشار الطبيب إلي قائلا :

- من الآن فلنقلل العناد و الجدال من أجل صحة بابا

لاشـك أنه يحمل في قلبه أحزانا أخرى جعلته يعاني و ليس موقفي مـع الصديقـة فقط. أحزان جعلته يكره كل النسـاء و كنت أشـعر أنّ أمـي هي السـبب خلـف أحزان أبي؛ لكـن لماذا..؟ لا أسـتطيع أن أذكرها أمامه. و إذا تملكني الفضول و فعلت كان يقول:

- إنها ستعود إذا شعرت بحاجتها إليكِ.

اقتنعـت أن الفتـاة كانت تريد أن تشـككني في كل ما تربيت عليـه ثـم تلقي بي إلـى قاع الرذيلة. إنها سـيئة و تسـبب قربي منها في المشـاكل لـي و لأهم إنسـان فـي حياتي. ابتعـدت عنهـا و قررت ألا أصـدق أو أصادق امرأة بعد ذلك اليوم فكلهن كاذبات. الغريب أني لـم أعود بـأي ذنب على فتى الشـرفة و الذي كان شـريكًا في كل شيء.

❖ ❖ ❖

الفصل التاسع

فـي صباح اليوم التالي كانت الأمور قد هدأت نوعًا ما. كان أبي جالسًا في غرفته يقلب ذكريات لا أعرفها عنه، ذكريات لم يشأ أن يخبرني عنها. تلك الذكريات ربما هي التي دفعته إلى كره النساء و يعلمني أن أكرههن.

كلما مرَّ بي الزمن و كبرت أكثر ازدادت رغبتي في اقتحام تلك الذكريات و معرفتها و لكني أتراجع كي لا أتسبب له في الحزن. اعتذرت له عن مناقشتي معه بتلك الحدة، فهو أبي و ليس أبي فقط بل هو كل الناس في حياتي.

لم يشأ أبي أن يتحدث بالمزيد فقبلني في جبيني و قال:

- تعلمين أني لا أريد لكِ إلا كل خير..

ابتسمت والاسئلة تتعارك في عقلي و قلت:

- اعلم بابا..سامحني لحدتي.. سامحني بابا.

فـي اليوم التالي رافقني أبي إلي المدرسة ليطلب نقلي إلى فصل آخر غير الذي أدرس فيه مع الصديقة المزعومة و عاد عند الظهيرة، ليصحبني إلى المنزل، لكنه ذهب إلى مكان آخر؛ لقد قصد المكتبة معللا ذلك أنني لم أشترِ كتبا جديدة منذ فترة طويلة و أنه يخشى أن أصاب بالملل لعدم تقلبي بين الكتب بين الحين و الآخر.

لم تكن عادة أبي أن يصحبني لاختيار ما أقرأه بنفسي و رغم ذلك فقد كنت سعيدة لوجودي بين كل تلك الكتب الكثيرة

والتي يمكنني أن أجد فيها أجوبة للأسئلة الكثيرة التي تدور في رأسي.

اخترت أكثر من عشرين كتابا تختلف موضوعاتها بين فهم النفس و تطوير الشخصية و بعض الروايات و بعض الكتب العلمية التي توضح وتشرح وظائف و تطور أعضاء جسم الإنسان. و للمرة الأولى أرى نفسي تميل لقراءة الشعر العاطفي للشعراء المعاصرين فاشتريت ديوانين لشاعرين مختلفين، وكنت لا أحب الشعر قبل ذلك.

عدت إلى المنزل في غاية السعادة إلا أن مفاجآت والدي كانت لم تنته بعد. جلس يحدثني عن أحلامي في المستقبل و العلم الذي أحب أن أدرسه أكثر..فذكرت له أني أحب اللغات والرياضيات كما أنني أحب التاريخ ؛ فأخبرني بأنه لا يمكنني دراسة كل تلك العلوم بتفاصيلها معا بالجامعة.

فعلّقت بإصرار أني أريد أن أدرس الجميع، فاقترح أن أدرس اللغات دراسة حرة و أبدأ بقراءة التاريخ و لتكن الرياضيات هي مجال تخصصي الجامعي.

إحساس رائع كان يشملني و هو يمسح عن قلبي أثار تجربتي مع الصديقة المزعومة وفتى الشرفة و يعود بحياتي إلى مسار آخر يرضيني و يغمرني بالسعادة. ليت كل الآباء كأبي، يذكر ضعفه و أخطائه في صغره ليصححها مع أبنائه في كبره. ليس بالقهر و العنف و لكن بالطريقة التي ودَّ لو فعلها معه ذويه. يعلم أبي أنني منه و أن ما كان يرضيه و هو في عمري سيرضيني في نفس العمر.

(لحظة.. أراكم تتوقعون نهاية الحكاية و تستعدون للذهاب.. انتظروا فمازالت الحكاية لم تنتهي.. وما نهاها معي كذلك إلا

حكمة ورحمة أب.. هناك صديقة أخرى تسلك نفس الطريق، أبوها مشغول تركها ورحل؛ و إن كان يسعى في الدنيا لأجلها فقد تركها وحدها لا تعرف كيف تواجه الدنيا.. و هناك أيضا فتى آخر، كاد أن يتوه هل تعلمون أنه لولا وجود رجل فاسق و رجل لا يغار محارمه، لِما كانت هناك امرأة ساقطة.. مازال في القصة ما تسمعوه)

❖ ❖ ❖

الفصل العاشر

يبدو أن فتى الشرفة لم ينسى أمري، لقد استمر يراقبني من الشرفة حتى نهاية العام الدراسي، كان يُلقي التحية كلما رآني كنت أردها ، ثم يجلس طويلا فلا ينصرف حتى أنصرف أنا. بدأت الإجازة و اتجهت للدراسة في معهد اللغات فوجدته زميلا لي هناك رغم أني أصغره ولن أقول أنني كنت أُخضع رغبتي لعقلي بالمطلق ولا أميل فلا أنشغل به أبدا. لا ، كنت أحيانا أسعد بنظراته التي تلاحقني مع كل كلمة أنطق بها في المحاضرة. كنت سعيدة بوجوده بنفس الفصل الذي أدرس به ، لكني لم أكن أبدا أود العودة إلى الطريق القديم التي كدت أن اسلكها معه.

ذات مرة عدنا سويا مصادفة ، ركبنا نفس الحافلة أثناء العودة و في الطريق اعتذر لي عن سوء تصرفه معي و أخبرني أنه يحبني ولم يقصد إهانتي..؟! و أنه يحلم بذلك اليوم الذي أكون فيه زوجة له.

تذكرت حديث والدي و سألته بجدية :- هل أنت انسان؟

اعتقد أنه لم يتبين ما أقول وسأل :- ماذا؟

فقلت :- لا تتشكك في سمعك لقد تصرفت معي مرة كشيطان و فكرت برغبتك وحدها في إقامة علاقة معي و هذا ما لم أحبه. الإنسان تميز بالعقل لكي يتحكم برغباته و أنت لم تفعل ذلك معي..

لاحظت الغضب في ملامحه قبل أن يقول : - هل هذا رفض أم توبيخ؟

حقيقة لا أحب إهانة أحد عامة..و لم أحب أهانته هو خاصة ،

فسارعت قائلة:

- لا هذا ولا ذاك، إنها مجرد وجهة نظر..أعبر عن رأيي في موقف اعتقدت أنه يخصني..

و تابعت، بسؤال آخر سريعا :- في أي كلية ستدرس؟

هنا تحولت ملامح الغضب لديه إلي فخر و سعادة، دون أن تخلو من تلك النظرة التي تقول تناسيتها و لم أنسها، و هو يقول:

- الهندسة.. إنها حلمي منذ الطفولة.

وسكت برهة ثم قال:

- لم أسألك سابقا عن حلمك لمستقبلك.. ماذا تسعين للدراسة في الجامعة؟

قلت:- لم أفكر في الأمر. أريد أن أكون إنسانا عاقلا أولا ثم لأفكر بالجامعة أو أي شيء آخر.

قال:- و هل يمنع العقل أن نحب؟

مرة أخرى يحاول التودد وأنا أصر على الهروب، لكني مع سؤاله الأول كنت قررت أن يكون هو؛ نعم تمنيتُ أن يتزوجني فتى الشرفة، لأنني ظننت أنه صادقًا.

أجبته:

- العقل يقول أن لكل حدث وقته..و كلانا لديه ما هو مقدم على عواطفه الآن.

أبدى إعجابه بما أقول و ما احتواه من منطق، فقد قال لي:

- وهل هناك ما هو أهم من الحب؟

فسألته،

- و هل تدري ما الحب؟

قال:

- علاقة رائعة بين شخصين الحب مولِّد السعادة في هذه الدنيا.. إحساس جميل بين اثنين و دافع للنجاح.

سألته:

- وكيف تتصور هذين الشخصين؟

قال:- رجل وامرأة

قلت:- ليس صحيحا..الحب احساس قد يجمعك بأي مخلوق و قد يجمعك بالخالق.. قد يجذبك لجماد ساكن، ليس به روح؛ أو مخلوق آخر تملأه الحياة قد يكون من جنسك أو لا يكون ولكنك وجدت به ما تميل نفسك إليه و وجدت معه ما تكتمل به حياتك. أما ما بين الجنسين فقد يشمله أو لا يشمله..فعند بعض الكائنات و منهم البشر تكفي الرغبة لكي تقيمه. من الخطأ أنْ نخلط الحب بما قد يفسده. أو نتخذه مبررا لأخطائنا. فالحب الحقيقي هو داع للفضيلة و ليس مبررا للرزيلة.

تركني أتحدث و توقف عن الكلام محدقًا بي و كأنه يبحث عن آخر داخلي.. ثم سأل:

- أهذا كلامك أنتِ؟ من علمكِ إياه؟

بدون تردد أجبته..

- أبي هو من علمني

ارتسمت على ملامحه ابتسامة بين الإعجاب و السخرية، ثم سأل:

و هل تصدقينه في كل ما يقول؟ إن الآباء كثيرا ما يكذبون علينا و كثيرا ما يتجملون، بتنا لا نثق في أي شيء يقدمونه لنا.. أنا - فيما يخصني - لا استمع لنصيحة أحدهم حتى أفكر فيها وأراجعها

مئـات المـرات. أفعل ما أراه يسـعدني و ليس مـا يريدونه، وإن كنت في النهاية أفعل ما يرضيهم لأني أصادف سـعادتي فيه.. لكن حقيقة لا أملـك تلك الثقة التـي تجعلني أصدق أي مما يقولوه لمجرد أنهم هم الذين يقولوه..

قاطعته:

- أنـا أثـق بأبي.. فسـعادتي لا تصادف ما ينصحني بـه فقط، إنها أيضا الطريق التي يرسمها لي منذ مولدي.

عاد لابتسامته السابقة مرة أخرى و قال:

- أتمنى أن تثقي بي يومًا، كثقتك بأبيكِ

توقفت الحافلة التي كنا نسـتقلها أمـام منزل كلانا و تحركت من مجلسي دون أن أعطيه ردًا لكني نظرت إليه و أنا أودعه بنظرة و نفسي تردد لي «لم يحن الوقت بعد...»

قابلنـي حـارس العقـار عنـد مدخلـه وأخبرنـي أن هنـاك خطابـا يخصني بصندوق البريد الخاص بنا تناولت الخطاب، و كانت المرة الأولـى التي أتلقـى فيها رسـالة تخصني، دقائق قليلـة و كنت داخل المنزل، وقبل أي شيء فتحت الرسالة إنها من صديقة المدرسة

«اليـوم رأيت اسـمك فـي قائمة المتفوقين في المدرسـة.. سـررت بذلـك، و كأني سـررت لنفسـي. أنا لا أكرهك و لكنـي تمنيت أن أكون مكانك. أكون مكانك في اهتمام والدك بكِ

و هـو يودعـك كل صباح عند بوابة المدرسـة، عندما يترك عمله و يأتي لحضور احتفالات المدرسـة و يدعمك، حتى عندما جاء معك إلى المدرسة غاضبا لينقلك من فصل فيه آفة مثلي إلى فصل آخر..

كيف تشعرين الآن وأنت تتذكرين أوقاتنا و تقرئين كلماتي؟

لا أعتقد أنه قد يصيبك شفقة أو عطف بل ربما انتابتك رغبة شديدة لتبصقي في وجهي و على الذكريات التي جمعتني بكِ.

هل تعتقدين أنني مقرفة لهذه الدرجة؟ أنا لا أرى ذلك، لكن فتاة مثلك قد تراني كذلك.. فتاة لم يهجرها أبوها بحثا عن أحلامه التي فشلت في الانبات في أرض وطنه. فتاة كانت تتوسل لسنوات لأبيها ليصحبها في غربته فتتهاه زوجته؛ لأنها ستشغلهما عن أعمالهما هناك... هل سمعتي مزحة أكبر من تلك التي خدعوني بها عندما قالوا أنهم تركوني هنا حتى أتربى و أترعرع و أتشرب من عادات مجتمعي و تقاليده..

ذلك المجتمع الذي حرمني منه؛ يريدني أن أتخلق بأخلاقه...

أفٍ لذلك المجتمع، لن أفعل إلا ما يخالفه و ما أعطاني إياه فليأخذه..

تلومين علي لكثرة علاقاتي بالشباب.. هذا هو المجتمع الذي أجد نفسي فيه ولن أتركه إلا إذا وجدت بديلا غيره يحتويني..بديلا كالذي لديكِ.

صديقتي سأظل كما أنا و لن أتغير حتى تُشفى تلك الأحقاد التي أصابوا بها قلبي، حتى يستبدل الخذلان بالأمل..و يعوض النقص بالاحتواء..

كتبت لك اليوم لأنّ والدي و بعد سنوات من الهجرة قرر اصطحابي معه إلى كندا حيث يعمل و يعيش؛ لأن جدتي أخبرتهم أنها لا تستطيع إحكام تربيتي و أن سُمعتي ساءت في الحي..

يا له من أمر مضحك كان يلزمه كارثة ليشعر بي.. أما بكائي و إلحاحي لحاجتي لعطفهم فلم يكن عنده ذا قيمة على الاطلاق...

صديقتك البائسة»

لـم تكـن تلـك الرسـالة الأخيرة التـي تلقيتهـا مـن الصديقة بعد افتراقنا أثناء الدراسـة في المدرسـة الثانوية و لكنها كتبت لي عدة مرات تصف لي حياتها بعد هجرتها و حياتها مع والدها وزوجته بنفس البيت بعد طول افتراق.

كان مما كتبت لي

«صديقتي

قريبًـا أعـود للوطن، أعود وحـدي.. يرى والدي أني لا أسـتطيع أن أتأقلـم مـع الحياة في كنـدا و أنه مـن الأفضل لي أن أعـود للوطن، يعتقد أنه يمكنني الاعتماد على نفسي لأني تخطيت السادسة عشر. سـأعود إلى الوطن و أعيش في شقتي بمفردي فقد ماتت جدتي العام الماضي.

هل تعتقدين أنّ ما قاله أبي أسباب حقيقية؟

كلها ملفقة، فقد أراد أن يخرجني من حياته بعدما شعر باختلافي عنهـم و بغربتي عنه وعن عائلته الجديـدة. لا أبالغ عندما أقول أن أبي اعتبرنـي ضيفـا ثقيـلا و قـرر التخلص مني مـن أجل راحـة الزوجة و الأبنـاء الجـدد. و لا أخفي عليكِ أني لم آلفه منذ جئت إليه فأولاده من زوجتـه الثانيـة هم من يملكون كل الاهتمام؛ لقـد اعتاد ألا يهتم بي حتى انطفأ احساسه بالأبوة تجاهي.

لا أدري لما لا يدفنون الصغار مع أمهاتهم عندما يمتن.. هل مخافة اللّه تمنعهم؟ وإذا كانوا يخافون اللّه فلما لا يُدركونهم برحمته..

صديقتـي... لا أدري لما لا يقبلني أحد؟ لا أدري أي قدر من السـوء تحتويه نفسي حتى يمقتني الجميع.. حتى أصدقائي من الشباب.. أرحل عنهـم أو يرحلـون عندما أضـع أول حد بيننـا. أنتِ أيضًا لـم تقبليني.. لكنّك جعلت لكِ سـببا للرحيل.. كانت أسبابك حقيقية، أما أسباب

أبـي فهـي مُلفقة ، كاهتمامه بـي عندما يعطيني المـال اهتمام ملفق مجرد تبرير لنفسه أنه لم يُقصر معي.

صديقتـي أكثر ما يسـعدني في العودة للوطن ، أنـي ربما ألتقيكِ مصادفة لأتذكر أن العالم مازال به بشر جيدون»

بعد عامين من إرسال هذا الخطاب جاءتني الصديقة و قد تحولت كل أحوالها.

الفصل الحادي عشر

الجامعة بيت العلم والنور، معقل الفسق و الفجور. مكان تتجمع فيه الأضداد و المتشابهات؛ عالم في قلب العالم و دولة داخل الدولة. إنها غابة الإنسان و صورة مصغرة لحال الوطن و شعبه و إذا أردت أن تعرف إنسان فضعه في هذا المكان؛ فيه تطفو خبايا الأشخاص و تظهر لهم معالم جديدة قد تخفي ما كانوا عليه في سابق عهدهم تماما.

لم تكن علاقتي بذلك المجتمع الجديد المختلط بعدد لانهائي من أنماط البشر صعبة بالدرجة التي تصرف انتباهي عن دراستي. إذ كانت علاقتي بهم لا تتعدى علاقتي بأبطال القصص التي أقرأها.. أراها و أفكر فيها.

و أتعلم منها لكني لا أحفظها و لا أحاول التعبير عن ملامحها. تعرضت للاهتمام كثيرا من الزملاء و للسخرية أحيانا. تعرضت للجذب لأقطاب لم تناسبني فنفرت مسرعة و من أقطاب كانت تشبهني أحيانا فتابعتها قليلا ثم انصرفت إلى هدفي الرئيسي من ذهابي لذلك المكان، إنه العلم. لذا فقد تميزت على الجميع و بات تميزي ملفتا. كان أكثر ما يسعدني و أنا أتحرك بثبات نحو هدفي هو سعادة والدي بي و بتفوقي.

كانت كل الأمور مستقرة و مرضية حتى تفوق أحد الزملاء عليّ في أحد الأبحاث التي طلبها منا الأساتذة. لم أكن أتوقع أنْ يتفوق علي أحدهم، إذ لم أعتقد أنّ أحدهم يكرس وقته وجهده للعلم والدراسة بطريقة علمية و منهجية كما كنت أفعل.

لقـد فعلـت كل ما بوسـعي بحثـت وابتكرت واتقنـت، لكن ما قدّمه الزميل كان يحوي جهدا أكبر و كما قال الأستاذ «لقد اطلع على مصادر كانت جديدة بالنسبة لي»..

الغريب أنّ ذلك الزميل طلب مني أن أشاركه المراجع و المجلات العلمية التي يتابعها. طلب مني أن نتشارك في عمل أي بحث بعد ذلك.

(أُدرك ما تعنيه تلك الابتسامة التي ترتسم على وجوهكم الآن.. أدرك حجـم السـذاجة التي كنت فيهـا.. مَن منا ليس سـاذجا بأمر ما؟ لا يستطيع ادراكه إلا بعد طول معرفة، لكن ليست السذاجة ما سـاقتني لذاك المأزق. إنه ذكاء الزميل فقد درسني جيدا حتى علم أضعـف مدخل لي ألا وهـو طموحي للريادة و التفـوق الدائم.. لكني تعلمـت بعدها أن أحـذر كل الحذر من هـؤلاء الذين يطرقون فقط الأبواب التي يغريني طرقها)

و رغـم أنّ بدايـة علاقتي بزميـل الجامعة كانت فخـا، لكني لا أنكـر أني كنـت في غاية السـعادة؛ فقد صرت على وشـك امتلاك صديـق أتحـدث إليه بعد أن أوشـك لسـاني علـى التوقف مـن كثرة الصمـت منـذ دخولي الجامعة. أعود كل يوم و أتناول الغداء مع أبي و يسـألني عن أحوالـي و كيف جرت الامور في يومـي. كانت الإجابة واحـدة لا تتغيـر كل يوم «بخير وعلى ما يُرام»، ثم يتجه كلانا لعمله حتـى موعـد النوم. عندما رأيـت والدي ذلك اليـوم كان لدي الجديد لأحكيـه لـه. أخبرته عن الزميل و اسـمه واخبرته أننا ربما نتشـارك العمل لاحقا. رأيت قبول والدي لما أسـرده واضحا فاختفت الريبة من نفسي إلا قليلاً.

كان العمـل بمشـاركة الزميـل في بدايـة الأمر رائعًـا؛ رغم أنني كنت أشعر كثيرا أنني أفضل بدونه و لكن رغبتي في وجود شخص

إلى جواري جعلتني أقنع نفسي بأننا نتقدم أفضل معا. لكن مع تعليق أحد أساتذتي، بأن مستواي تراجع و أنني لم أعد أسعى للأفضل كما اعتاد مني؛ انتبهت لأمري و رغم ذلك لم تنقطع علاقتي بزميل الجامعة خاصة بعد أنْ قرر زيارة والدي والتعرف به، ثم دعاه والدي لزيارتنا بصحبة عائلته التي تتكون من والديه وأختان؛ و كما كان يعترض والدي على صداقتي بالفتيات فقد حذرني من أنْ انخرط في علاقة بأخواته وأن أجعل علاقتي بهن سطحية حذرة. و سمح للزميل أن يتحدث إلى منفردا على مرآه لا مسمعه.

أزعجني ذلك كثيرا منه خاصة مع اختلاف طريقة الزميل في التعامل معي بعدما لاحظ قبول والدي به وبعائلته؛ فقد صار ودودا أكثر توقف عن قول «آنسة» قبل اسمي و صار ينادينني به مجرّدا.. اختلفت نظراته و تخلص من تحفظه بقدر كبير. احترت لقبول والدي ذلك.. هل دار بينه وبين الزميل حديث لا أعرفه؟ أم أنه يرى أن ما يحدث هو الطبيعي؟

لم أكن أريد لعلاقة الزميل أنْ تصير أكثر من زمالة، مجرد إنسان أتحدث إليه. لم يهمني إن كان يشبهني أو يختلف عني.. كنت أبحث في علاقتي به عن موضوعا للحوار معه أو مع أبي... فقد سئمت الوحدة..سئمت الحديث إلى الأوراق.. سئمت كل شيء يُذكرني بأن أماني الوحيد في أنْ أبتعد عن بنات جنسي.. أريد أنْ أعرف بشرا جدد وأتحدث إليهم.

أين أمي لو كانت إلى جواري؟ لكانت صديقتي كما رأيت أخوات الزميل و أمهم. لو كانت أمي موجودة لكنت فهمت أحزان أبي و عرفت كيف أساعده كي يتخطاها... لما يكره النساء؟ ماذا فعلت به؟ و هل لا يدرك أبي أنّ البشر مختلفون؟ كي يشخصهم كلهم في أمي.

رغـم كل دوافعي فقـد أزعجتني علاقـة زميل الجامعـة بإطارها الجديد.. يبدو لي الأمر مفهوما وجليا و كذلك أعتقد أن والدي يراه.. إن لم يعرفه و يعرف تفاصيله من الزميل نفسـه؛ لكنه لم يحدثني إذا كنـت أرغـب في الارتباط أثناء الدراسـة من عدمـه و عمّا إذا كنت أجد في نفسي ميلا تجاهه أم لا..

اكتشـفت بعدها أن كل ظنوني كانـت حقيقية وأن والدي أجّل القرار فقط لما بعد امتحاناتي؛ لأنه توقع قبولي..

(هكذا الأبوان يتركون الأمور تسير دون اعتراض إذا كانت توافق هواهم و إنْ اختلفت عن كل ما غرسوا فينا من قواعد. كيف لنا أن نخضع لأوامر منهم بعد ذلك و تمر أيام بنا و نحن نراهم يتصرفون وفق هواهم فقط.. كيف تكون الطاعة عمياء.. دون نقاش أو تفكير. إنني أرى ذلك أشبه بالمستحيل).

صـار الزميـل نادرا ما يتحدث إلي بشـأن الدراسـة.. لكنه لم يثير داخلـي أي مشـاعر قـد تتحـرك داخل امرأة نحـو رجل.. لـم أره بذلك الشموخ و الذكاء الذي رأيت به فتى الشرفة، والذي صار بعد تخرجه صديقا لوالدي. و عندما اقتربت تلميحات الزميل إلى الصراحة كان علـي أن ابتعـد أقصـى ما يمكنني رغم خوفي الشـديد أن أخسـره و أخسر المجتمع الجديد الذي اختلطت فيه و لو كان اختلاطا كاذبا و أول مـا فعلتـه هـو تغييري للمجموعـة التي كنـت أدرس بها العملي معـه و تعللـت له بأني بدأت أتعلـم الألمانية و عليّ تنسـيق مواعيدي و كما اقترب هو تدريجيا بدأت أنسحب تدريجيا من علاقتي به. أحس بذلـك فحاول الاقتراب من أبي أكثر و سـأله عن سـبب ابتعادي عنه و تغيـري، لكـن أبي لم يكن يملـك إجابة فرجع ليعـرف مني ؛ و ما كنـت أملك إلا قـولا واحدا... لا أريد منه أكثـر مما نحن عليه زميل و أخ.. أخ يـا والـدي كنت أحتاج أخا فقط..طالمـا لا تصدق الفتيات..

صاحبت رجلا و هذا ما انتهى إليه الأمر.. فقال أبي بلهجة لمحت فيها قسوة غير معتادة و غير مبررة:

- لكنه يحبك.. لماذا تبتعدين؟

- هل تعني ما تقول حقًا؟

- ولما لا أعنيه.. إنه رجل ممتاز يتمناه أي أب لابنته.. و هو يحبك.. أدركت ذلك واستيقنت منه و أنا أتابعه وهو يتحدث إليكِ؛ ثم أنه سارع بالحديث إلي بمجرد أنْ تأكد من مشاعره تجاهك.

كنت أحبس الدمع في عيني وأكتم ذلك الألم الجامح الذي انتشر في قلبي.. شعور قاسٍ يقتلع كل جميل رسمته لذلك الانسان خلال سنوات عمري.. إنه الخذلان.. يجعل كل أفكارك الجميلة لنفس الإنسان و كأنها صورة من وهم و سراب.. يجرد كل إحساس وصلكَ منه من الحقيقة.. ولا يبقى داخلك إلا عدم وانعدام الثقة فيه.. ملت بوجهي بعيدا عنه و كأني لا أريد لنفسي أن تُصدق أنَّ من يحدثني هو أبي و قدوتي و قيمتي و قامتي على هذه الدنيا و قلت:

- لهذا كنت تطبق على شفتيك عندما يطلب أن يتحدث إلي منفردا و أنت من علمتني ألا أفعل ذلك. تريد أن تُلقي له بجهد سنوات عمرك.. بذكرياتك و أفراحك.. بحياتك كما تصفني أحيانا لمجرد أنه يود ذلك أو أنك تراه مثاليا..

- ماذا عني أنا؟ وماذا عن أحلامي و رغباتي؟ ماذا عن قلبي الذي أغلقته لسنوات، أنتظر فيها الوقت المناسب لألقى من يسكنه.

هل أعيش بقلب فارغ حتى الموت.. أم أغامر بجزء من حياتي تحت احتمال أن أجده أو لا؟

غضب والدي واحتد أكثر و كأنه يُحدث شخصا غيري وقال:

- إنـه يحبـك؟ ألا تعيـن معنى أن يحبـك رجل.. سـتكونين أميرته وكل أحلامه.

لـن تعرفي قوتـه إلا لأجلك. سـيفعل من أجلك المسـتحيل ويصبح كل شيء سهل عليه إلا فقدانك؛ لأن عيناكِ ستكون كونه الذي لا تفنى منه السعادة و يستقي منه الأمل. حبُّ الرجل ضمان بالأمان وعدم الإهانـة ، فأنتِ حديقته التي يرعاها ليحمي زهورها من الذبول.. رجل يحبك يعطيكِ كل ما تتمناه امرأة دون أنْ تسأليه.

- ذلـك إذا كنـتُ أحبه.. إذا كنـت أريده.. إما إذا لـم يكن.. فلن يشبعني منه شيئا و قلبي فارغ.. بابا إنَّ قصرا لم تبغِ سكناه هو سجن كبير يحتوي أيامك.

- و لما لا تُحبينه؟ هل هناك من يشغلكِ؟

و لـم أعـرف كيف أجيبه أو مـاذا أقول له.. فأنـا لا أعلم إنْ كان قلبـي مغلـق أم مشـغول.. هـل هناك صـورة محـددة أبحـث عنها لمن سيشـاركني حياتي. و هل هذه الصورة متعلقة بشـخص ما أم أنها لا زالت مبهمة؟ و لم أجد إجابة واضحة لسؤاله فقلت بتردد :

- لستُ أدري، ما زلت لا أعلم ما أريد.. ربما أنتظر قلبي ليعطي هو الجواب. لكني لا أريد أن أكذب... أنْ أكافئ حبا بكذب وخداع.

قال أبي و قد مال بوجهه بعيدا عني:

- ما كان لكِ أنْ تقبلي بالحديث معه منذ البداية.. كان واجبًا أن تبتعدي فالأرواح تعشـق من تألفه و قد ألفكِ و ألِفَ قربكِ و لم يتجاوز بل أتى إليّ يطلبكِ.

- لم أتعمد حديثي إليه.. ولكنه من فعل.

علمـت بعـد ذلـك أنّ والـده يمتلـك واحـدة مـن أكبر شـركات البرمجـة و ذلـك ما فسّـر لـي بعد ذلك تفوقـه علي لمرة واحـدة.. تلك

المرة التي طلب مني فيها أنْ نعمل معًا.. و ما كنت أسعى لأكثر من العمل معه. هو لم يوضح لي حقيقة نواياه منذ البداية حتى أوضح له أنا حقيقة ما بداخلي له.. حتى وإن كنت أدرك و أتفهم مغزى كل ما يدور.. فأحيانا نتغابى أو نتظاهر بالغباء لحاجة في نفوسنا.. حاجة تنقصنا ، لم يكن زميل الجامعة سوى بديل عن أي زميلة من جنسي. تماديت معه لأجد معه بديلا أتحدث إليه طالما أنّ النساء كاذبات فالرجال قد يكونوا صادقين.

(أرى و أشعر تلك النظرة المشمئزة.. أشعر أن بعضكم يود لو ينهي وجوده معي و يرحل؛ لكن فضلا استمعوا ؛ إذا كنت ممنوعة من مصادقة الفتيات و من أي علاقة مع الشباب تحت مسمى صداقة. كان على والدي أن يعطيني بديلا.. بديلا شرعيا و ما كان البديل غير أمي التي لا أدري عنها شيئا أو فتاة يتلمس فيها الصلاح ممن يعرفهن.. لكنه لم يفعل، منعني ولم يعطِ أي بديل..فجاء الزميل مغلفًا علاقته بخدعة العمل لعلمه أني لن أقبل بحديث غير ذلك.. تغابيت و قبلت.. لأني أردت مشاركة شخص الحديث. كان من الممكن أن يكون زميل الجامعة مجرد شاب مستهتر و أن أتعلق به أنا.. أقصد أن تنعكس القضية و أكون أنا مكانه..

هل تعتقدون أني سأجد تعاطفا تجاهي؟ تعرفون جميعا الإجابة.. سأكون مخطئة لأني قد تعلقت به دون أن يُصرح أو يوضح و تكون المشكلة تخصني و هو غير مسؤول.

عليكم الآن أن توجهوا إليه نفس النظرة؛ فأنا لم أعده و لم أُصرح و لم أوضح.. فهو إذا المسؤول عمّا يصيبه.. لا أنا)

مازال أبي مُصرا على موقفه تجاه زميل الجامعة ، و طلب مني أن أراجع التفكير.

و كمـا اعتـدت بعد أي نقـاش بيننا تعـود إليه حالـة الحزن الذي تصيبـه و يبقـى فـي غرفته عدة أيـام. لكني هذه المـرة و رغم حزني الشديد لما يصيبه؛ لم أحاول التدخل أو الاعتذار.. لم أحاول أن أرضيه أو أسـترضيه، فما تحدثنا فيه ليس مشكلة عابرة أو خطأ ارتكبته و علي الاعتذار والتراجع عنه و لكنها حياتي.. حياتي القادمة كلها.

و للمـرة الأولى أبدأ بعمل حسـاب لي على أشـهر وسـائل التواصل الاجتماعـي فـي محاولة جـادة للبحث عن أمي؛ لقد قـررت أن أجدها و أن أتفهـم كل مـا يحزن أبـي و ما حرمني منها.. كانت المشـكلة الأولـى التـي واجهتني هي أنني أجهل شـكلها تماما، لكني كتبت اسـمها و حاولت البحث. أشـخاص كثيرة تحمل نفس الاسم ضيقت دائرة بحثي بين هؤلاء اللاتي تخطى عمرهن الأربعين. كانت حسابات قليلـة هي التـي تبدو حقيقية فأرسـلت لهن جميعًا رسـالة واحدة «هل لكم شخص مفقود تبحثون عنه؟ هل فقدت احداكن ابنتها في سن صغيـرة» ووضعـت صور لي مع أبي على حسـابي و حصلت على صورة قديمـة لوالدي و أضفتها.. كانت محاولـة لم أثق في نجاحها و لكن كان علي أن أحاول.

الفصل الثاني عشر

فـي اليـوم التالـي قابلـت صديقتـي التي عرفتهـا فـي الاعدادية ، الصديقة الوحيدة التي تسنى لي معرفتها عن قرب من جنسي. حضرت تبحث عني لتسألني عن حل و أي حل يمكن أن أجده لمشكلة و أنا أفكر في كل خطوة من حياتي مسبقا ، حتى لا تواجهني المشاكل. لم أكن أدري حتى وقت قريب ماذا أفعل لو طرأت على حياتي مشكلة أو أمر لم أعدّ له.

صديقتـي التـي كانـت سـتصحبني إلى طريـق مجهـول النهاية ، و افترقـت عنهـا عند إحساسـي بالخطر. أتمّت الطريـق بمفردها بعد عودتها من كندا أو كما أخبرتني " بعدما أرسـلني والدي من كندا عندمـا وجد أنني أختلف عنهم ولا أسـتطيع التأقلم مع البلد الجديد.. لكـن الحقيقـة أنه و جد فتـاة أخرى غير التي توقعهـا فكنت غريبة عنـه و كانـوا غربـاء عني و بدلا مـن محاولة جمع ما حـدث بيننا من شـتات قرر إرسـالي للحياة في الوطن مرة أخرى، مبررًا ذلك بأني قد وصلت للسن الذي أستطيع فيه مواجهة الحياة بنفسي. "

أضافـت بأنه قد تخلـى عنها للمرة الثانيـة فالأولى كانت عندما تركهـا بحثا عـن طموحه لجدتها ظانًا أنها سـتعوضها عنـه و الثانية حينمـا وجـد خُلقهـا و طباعها قد نمـت على غير ما يتوقـع؛ فبدلا من تقويمهـا و احتوائهـا طلـب منهـا العـودة للحيـاة علـى أرض الوطـن و سـتدرس هناك بجامعة على نفس مسـتوى الجامعات في كندا.. برر ذلك أنّ الوطن أكثر أمانا لها.

قالـت الصديقـة «إحساسـك بتخلـي مـن تخصهـم عنـك أقـرب

للإحساس بالموت إلا أن الموت يكون بلا اختيار فتكون فيه رحمة. أما التخلي فهو اختيار الترك و الهجران و هنا تكون الرحمة قد نُزعت عن آخرها ، ليقطع كل طرف يربطه بك لأسباب واهية و علل غير مقنعة.

معتقدًا أن ذلك حقًا لديه و أن ما يخصه ليس لي أن أسأل عنه.. ولم يفكر أن ما يخصه هو بذاته ما يعنيني ألم يكن سببا في وجودي في هذه الحياة ، إذًا فقد كان عليه إعدادي لها و حمايتي من أخطارها. ما كان يجب إلا أن يتزوج بامرأة تعوضني أمي و إلا فليهتم بي أولا.. الآباء أنانيون عندما يضعون أبناءهم في المرتبة الثانية و قاسون إذا ما تركوا همّ تربيتهم لغيرهم. لا يحل أحد مكان هؤلاء اللذين خلقت منهم و كانوا سببا في وجودك لا أحد يمكن أن يعوض حرمانك منهم خاصة و هم على قيد الحياة.. إن تخليهم عنك يثير تساؤلات كثيرة بلا أجوبة. تساؤلات تتنامى حتى تصل بصاحبها إلى التشكك في تصرفه و سلوكه و في سواء نفسه. تصل به إلى التشكك في رغبتهما في وجوده و حضوره إلى هذه الحياة.. تخليهم هو كتلة من العذاب ، فهل خُلقنا لنكون أسباب لشقاء بعضنا البعض؟

تخلى و كأنه أعطاها حق الرعاية في السن الذي كانت تحتاجه فيها ، حتى تواجه بقوة بعدما تكبر..

كانت تخبرني سابقا أنها تستطيع أن تحدد متى تتوقف كي لا تؤذى. كانت تعتقد أنها تمرح و تتسلى ، لكن في هذه المرة لم تقرر البداية أو النهاية. لم تقرر أي شيء ولكنها انساقت فقط وراء رغبتها و خلف حريتها التي لا يقيدها حب أو مبدأ أو عقيدة. اندفعت و لم تفق حتى وصلت النهاية. النهاية التي غيّرت نظرتها للعالم أخيرا.. والتي جعلتها تتعلم أن الفضيلة هي أساس راسخ من أسس الحياة.

قابلت صديقتي فتاة أخرى التزمت بنفس سلوكها و وجدت كل منهما ضالتها في الأخرى. كانت العلاقة بينهما جيدة فهما متفقتان في كل شيء تقريبا ؛ إلى أن التقت صديقتي بوالد صديقتها ، رجل ثري ذو شهرة و صيت ذائع ، كل المتاح لديه مباح. ليس لديه قيود و لا قواعد فبمجرد أن لاحظً عيني الفتاة تبحث فيه عن والدها بحث فيها عن بريق شبابها الذي بدا مُشعًا لكل من يراها وقرر أن يطفئه.

كانت تلتقيه في البداية بصحبة ابنته ثم تحولت اللقاءات بغير ابنته فمحادثات تمتد من بداية اليوم و حتي نهاية الليلة. صار عادة لا تتوقف لها ؛ ثم اختفى لتبحث هي عن حاجتها فيه.. التي ظنتها حاجة لأب هجر وتخلّى ثم تحولت إلى حاجة تعلّق بات كالإدمان بين أحاديث محرّمة و أفعال أكثر حرمة.

أضافت وهي تحكي «في لحظة ما وددت لو أهرب لأبي؛ أحتمي فيه من هوى نفسي لكني لم أظن فيه حماية ، لم يعلمني أحد إلى من ألجأ غير البشر. ربما خطر في عقلي و أنا أجن من شوقي إليه لما أنا من بين البشر يتركني الجميع.. ما حجم السوء الذي بداخلي كي ينفر مني أبي مرتين و تنفر مني جدتي.. صدقيني لم أجد جوابًا.تخيلت أنّ الجواب لديه ، والد صديقتي؛ فقررت البحث عنه».

بحثتْ عنه و عرفتْ أنه يمضي وقتًا في إحدى المدن السياحية و ما كان منها إلا أنْ لحقَت به و يأسها يسري فيها كدمها في العروق. تزوجا بطريقة غير رسمية و بمجرد أنْ انتهى منها مع انتهاء رحلته في هذه المدينة لم تجد إثباتا لعلاقتها به. وانتهى كل شيء. لم يبق مما حدث غير ذلك الطفل الذي أتت تحمله و هي تطلب مساعدتي.

(ألم أخبركم سابقا، لولا وجود رجل فاسق ؛ لما كانت هناك امرأة ساقطة.. لكن هل سقطت صديقتي بسبب رجل واحد؟ لا

أسـقطها رجـلان، رجل فاسـق و رجل تخلّـى و أهمل الأمانـة.. أهمل رعيته.. أهمل مسـؤوليته عنها بحثًا عن راحة باله. لكن كيف يرتاح بال رجل بحق و هو غير مطمئن عن رعيته. هناك الكثير عن مفاهيم الرجولة يجب أن يُعرف و يُناقش.. فهي أكبر من أن تُلقى لأي ذكر و أول ما في الرجولة أن يغار محارمه)

هممـت بالصـراخ فيها و سـؤالها عـن ضميرها وأيـن دفنته و هي تندفـع خلـف رغباتها بـلا عقل أو تفكير و كيف حولـت حياتها إلى فوضى تسـتحي الحيوانات أن تسـلكها و كيف فعلت تلك الفواحش دون أنْ يُعكر الإثم صفو نفسها و لو لوقت قصير؛ لكني تذكرت أن الضمير يتربى و ينمو داخلنا مع كل خلق جيد نتعلمه و نكتسـبه من قدوتنا و تذكرت أنه كي ينمو بداخلنا ضمير حي و إحسـاس رقيق يتحاشـى و يخـاف الذنـب لابد لنا مـن عاطفة نكتسـبها ممن حولنا هـؤلاء الذيـن يقومـون بالتربية أو والدينا. و لابـد أن نثاب و نمدح عند فعل الصواب كي نستحي من الخطأ لأن الخطأ و الخطيئة ستحرمنا الشـعور بالسعادة والفخر، الذي نشـعر به عند المديح على كل فعل جيد نقوم به.

تذكـرت أنّها حُرمـت كل ذلك قدرًا بوفاة أمهـا و قهرًا بعد زواج والدها بأخرى و هجرته تاركًا إياها لجدة بالكاد تقوى على رعايتها لا تربيتها و احتواء غضبها الغير منتهي تجاه والدها.

و رغم ذلك لم أتوقف عن لومها و قلت في غضب:

- لقد نصحتك بالابتعاد منذ بداية الطريق.. لكنك اخترتِ الطريق الخطأ

فقالت وعيناها تهرب للفضاء الواسع و صوتها يملأه الندم:

- لم يكن الطريق الخطأ حينها، كنت فقط أبحث عمّا أحتاجه

و عمـا أجـد سـعادتي فيـه.. كنت أحتـاج حبًـا فقدتـه، فبحثت عنه كحطاب الليل في الصحراء لا يفرق بين الثعابين و العصي.

- تسرّعتِ..

- لستُ أنا من يهم الآن.. لستُ موضوع الحدث

- و من إذا؟

- ذاك الذي أحمله.. كيف سـيعيش بلا أب بلا أوراق ولا هوية. لم أجرؤ على تقديمه لأي مكتب صحة ليحصل على تطعيماته.

تنبهـت لجملتهـا الأخيرة و نظرت إلى الطفـل الذي لا يكاد يظهر من لفافته التي تحمله فيها و حاولت التحلي بالهدوء و قلت:

- ماذا تعتقدين أنه باسـتطاعتي فعله؟ لسـت إلا فتاة في التاسـعة عشر

- ربما يعرف والدك أحد رجال القانون يسـاعدني في إثبات نسب هذا الطفل.. أخشـى أن أتعامل مع رجل آخر فيطمع بي بعد أن يسـمع حكايتي.. أريد من أستأمنه على نفسي

- أصبحـتِ تخشـين التعامل مـع الرجال بعد أن كانوا لكِ وسـيلة للتسلية

- اكتشـفت هشاشتي.. وعرفت ضعفي. أخيرا أدركت أني لست بالقوة التي كنت أتصورها. و صرت الآن أضعف من ذي قبل. لم أكن أعلـم قبـلا أن القواعـد وُضِعـت لتحفظنـا و أن الالتزام بهـا هو مناط الحمايـة الوحيد لنا. لم أكن أصدق أن من يحوم حول الحمى يوشـك أن يقـع فيهـا حتـى وقعت و حطمتنـي صدمة السـقوط. لا أريد العودة لطريقي السـابق، لكني لا أدري مـا البديل. تذكرين حينما ابتعدتِ عني لتحمي نفسكِ من طريقي أريد أن تقتربي مني لأتعرف معكِ على الطريق الصحيح، أحتاجكِ دليلا لأتخطى الظلام الموجود في حياتي.

لا أعتقد أنّ شيء أصعب من أنْ يعتقد الآخرون أنّ لديك قوة ليست بـك. ويطمحون بناء على اعتقادهم في المزيد منك. ذلك المزيد الذي ترى أنت أنك أضعف كثيرا مِن أنْ تقدمه. جعلتني الصديقة في موقف صعب فإما أن أعترف بضعفي و أخذلها ، ولا أدري أين سـتتوجه أو ما ذا سـتفعل بعدهـا. و إما أنْ أُصدق اعتقادهـا و أحاول.. فقط لكي لا تشعر أني تخليت.

الفصل الثالث عشر

وعدتها أني سأحاول و أسعى قدر استطاعتي لمساعدتها و لو بكوني فقط على اتصال بها. لجأت لوالدي أسأله إنْ كان يعرف محاميا ذو خبرة في هذا النوع من القضايا. لكنه قبل أن يجيبني أغرقني بوابل من الأسئلة كأني ارتكبت جريمة لمجرد استماعي إليها. أخبرني أن سمعتها السيئة ستمسني بصحبتها و أنها أخطأت و عليها وحدها أن تتحمل نتيجة خطأها ، عليها مواجهته وإصلاحه. فقلت و أنا أرفض بشدة قوله:

- هل تضع طفلها في كيس و تلقي به في القمامة أم من الأفضل أن تقتله و تدفنه لأن بقاءه عار سيظل ملازمها مادامت حية. أم تعطيه لمتسولة تستخدمه و بعد ذلك يكبر ليصبح عنصرا فاسدا و قد أكون أنا أو أنت أحد ضحاياه. إذا كنت ترى في هذه الحلول ما هو أفضل مما تسعى هي إليه فأخبرني.

اقترب مني و أمسك بكتفي بقوة آلمتني.، وقال:

- لما تصدقيها إنها كاذبة.. إنهن كاذبات

رفعت عيني إليه وقلت:

- أنا منهن.. أنا أصدقها.

و أضفت و قلبي يرتعش و هو لا يزال ممسكًا بكتفي:

- بابا.. ليست كل النساء كمن آذتك يوما و لا كل الرجال كذلك الفاسق الذي آذاها.

وضعت يديّ فوق يديه التي ضعفت قوة إمساكها مع جملتي

الأخيرة، و هو لايزال مستندا بكتفي و قلت برجاء:

- لقد كبرت بما يكفي لأفهم، تحدّث إلي رجاءً و أخبرني بما تكتمه.. ما عدت أتحمل ما أراك عليه من هموم وأحزان

- تتحدثين عن الكتمان.. و ماذا لو كان ما نكتمه لا يجب إلا كتمانه. نحن بشر تحكمنا أشياء كثيرة، ليس كل ما نشعره يمكن أنْ يقال. فربما كانت كارثة قوله أكبر من كارثة كتمانه.

- هل هي أمي؟ هل خذلتك؟ و إن لم تكن هي فمن؟ و لماذا ابتعدت إن لم تكن هي؟ و إن كانت هي فماذا فعلت؟ ما عدت أطيق الصمت و ما عدت أحتمل كتمانك.. هل يخص الموضوع كرامتك. و إن كذلك، هل من حل وسطي يجمع الراحة والكرامة. أم تترك الصراع و الكتمان داخل نفسك قائما بحجة حفظ المبادئ و الأصول و تتهار نفسك و تتهار معها كل قواعدك الانسانية الجميلة، و لا يتبقى منها إلا أشلاء؟!

- أشلاء.. حقا هي أشلاء فبعض منك معك و بعض رحل عنك وتبقى مكانه الألم.. ألم الفراغ والفراق و الوحدة.

سعدت جدا هذه المرة لأن أبي لم يتملكه الحزن ككل مرة أذكر أمي و لكنه حاول أن يستقيم و يرفع صوته لي متسائلا بعد جملته الأخيرة:

- ألم تحاول تلك الفتاة إنهاء مشكلتها وديا مع والد الطفل؟

انتبهت إلى سؤاله والسعادة تغمرني و قلت:

- لقد وافقت على مساعدتها إذا.

- نعم.. ليس من حسن الخلق أن نخذل من يلجأ إلينا.

- لقد حاولت قبل أن تضع المولود أن تخبر الأب.. لكنه أنكر

وطلب منها التخلص من الجنين إذا كانت تريد البقاء معه.

- سأدلها على من يساعدها و أتابع معه قضيتها ، لكن شرط أن تبتعدي عنها لا أريد أن تلتقي بها

- لكن يا أبي ربما...

- هذا شرطي.. و إذا كانت تحتاج لمن يساعدها أو يعلمها كيف تعتني بطفلها يمكنني أن أتحدث إلى دادة عفاف التي كانت ترعاكِ في طفولتك. لن تحتاج منّا أكثر من ذلك.

- دادة عفاف ! تلك هي المرأة الوحيدة التي سمحت لها بالاقتراب مني. لكن هل أتواصل معها عبر الهاتف فقط.. لن ألتقي بها.. ربما احتاجت لمن تتحدث إليه.

- هاتفيا فقط.. و إن لم تفِ بعهدك معي سأتخلى عنها.

يبدو أن ألم أبي مازال بداخله ، لكنه هذه المرة و لأول مرة يتظاهر بالصمود. ورغم ذلك انسحب إلى غرفته وبقى وحيدا عدة ساعات.و كأنه يراجع أمرا ما في حياته.

لم أنتظر هذه المرة حتى يخرج من وحدته بإرادته كما أفعل كل مرة ولكني قررت مشاركته فيها ، مشاركة أفكاره و ذكرياته التي تؤلمه وحده ، طرقت الباب حتى سمح لي بالدخول فوجدته يُمسك ألبوما لصورٍ مرسومة بأقلام الفحم له و لامرأة أخرى. أشار إلى المرأة و قال هذه والدتك. جلست على كرسي مجاور له و بدأ يُريني الصور واحدة تلو الأخرى و يحكي لي عن وقت رسمها و عن حالته وحالة أمي معه.

كنت أسمع بشغف كبير ، رأيته و كأنه يكاد يتعلق بالنجوم.. سعادة لم أعرفها عليه قط غمرته و هو يمسك الألبوم ويحكي. كان التاريخ المدون أسفل الصور يدل أنه تم رسمها بين عامي ١٩٩٠و

١٩٩٧ انهـا نفـس الفترة التي كان يدرس فيهـا أبي في الجامعة. بعد وقت أحسسـته طويلا وصلنا لآخر صور و أشـار إلى طفلة بينهما وقال «هـذه أنـتِ».. بعدهـا حـلَّ عليه صمت كأنـه المـوت و تطايرت كل أمارات السـعادة. قطـع صمته بكلمة واحدة و عينـاه تراقبني قائلا " انتهت حكايتنا.. لم يتبقى منها إلا أنتِ..»

لم أُرِد أنْ أثقله بسؤالي أين هي؟ أو لماذا رحلت؟ لكني سألته:

- ألهذا الحد كنت تحبها؟ مجرد ذكرى معها تعلقك بالسماء ثم يلقيك هجرها لأعمق وادى في صحراء مظلمة.

- ما زلتِ لا تدركين معنى أن يحب الرجل. إنه يترك لحبيبته جزء من قلبه مادام حيا.. لا تهجره و لا يسـكنه غيرها.. قد يتظاهر بالقوة والنسيان. لكن نزعها من قلبه سيكون بمثابة نزع الروح من الجسد.

تمنيتُ لو أني عشـقت قبل اليوم حتى أدرك و أتفهم ما يشعره أبي.. لـم أمـر بتجربة مشـابهة و لم أجد لي مبررا واحـدا في أن أنكر عليه حزنـه، رغم يقينـي أنه يجب عليه أن يتخلص مـن حزنه و من ذكرى ذهبـت صاحبتها عن حياته.. ليرى حيـاة جميلة و يمكِّن قلبه من حب جديـد، حـب يُملِّكه الواقع لا الذكريات و الأحـلام. و قبل أنْ أترك الغرفة طبعت قبلة على خده و أخبرته أني أحبه كثيرا.

❖ ❖ ❖

الفصل الرابع عشر

فـي اليـوم التالي خـرج أبي بصحبـة صديقتي إلـى المحامي الذي سـتوكله قضية اثبات نسـب طفلهـا ، و كان ممـا رواه أبي لصديقه عن قصتها سـببا كافيا لتعاطـف المحامي معها و يقوم على قضيتها بقلب أب تم التغرير بابنته. سـرد عليه والدي ما أخبرته به من مخاوف الصديقة فأخبره أن يطمئن وأنّه سيتابع معها كل خطوة كأب.

دخلت لحسـابي الذي سـجلته خصيصا على أحـد مواقع التواصل الاجتماعـي للوصـول لأمي. لكني لم أجد أي رد ، ربما ليسـت واحدة ممن أرسـلت لهن و ربما لا تملك حسـابا على هذا الموقع من الأساس. كان هذا الموقع هو أشهرهم و في محاولة يائسة كتبت اسمها ثلاثيا علـى الباحـث؛ توقعـت أن تظهـر لي عبـارة « لا توجد نتائـج « ، لكن صدمتـي كانت قاتلة فأمي التي لم تسـعى مـرة لرؤيتي ترعى جمعية لجمـع التبرعات للأطفال بلا ملجأ و مصابي السـرطان. تشـككت فيما أراه فبحثت عن أكبر عدد من الصور لها. إنها تماما ذات المرأة التـي رأيتها في الألبوم الذي رسـمه أبي. لا يمكن أن يكون تشـابها بالشكل والاسم معًا. وتساءلت والألم يمزقني هل يعلم أبي بأمرها؟!

بعد عودة والدي، لم أستطع البوح له بأي شيء مما عرفت و قررت التوقف عن سؤاله عنها. لكن ظل في نفسي سؤال واحد يحتاج لجواب وهو كيف لأم يتسنى لها الابتعاد عن ابنتها كل تلك السنوات و هي تملـك في قلبهـا رحمة لمن هم بلا ملجأ ومرضى؛ أليس من الأولى لها أن ترحم من خُلقت في الأساس لترحمه، ترحم ابنتها من وجع فراقها. و لأخفي ما ألمَّ بي من هَم أعددت له طعاما يفضله تعبيرا عن شكري

و امتنانـي لمـا قدمـه لصديقتي و تشـاغلت معه بالحديـث عما جرى خلال يومه معها.

هـذه الأيام صرت أشـعر بحزن يشـبه ما كان يصيـب أبي فلا أنا أسـتطيع أن أنسـاه ولا أجرؤ أن أحكيه.. حزن لا سـبيل للخلاص منه إلا اقتلاعه من جذوره فهو لا يشبه تلك الألآم التي يمكننا تجاهلها أو نسـيانها أو كالتي تذهب عنّا بمرور الزمن. حزن لن ينتهي إلا بوجود أجوبة لتلك الاسئلة الكثيرة التي تثيره داخلي.

عدت للجامعة و بدأت أتشاغل في دراستي.. التقيت بزميل الجامعة كان أول مـن يلاحـظ مـا بي من شـرود ، حـاول الاستفسـار عمّا بي لكني أنكرت شرودي بابتسامة راقية قائلة :- لا شيء بي سوى بعض الإرهاق.

وأضفت: - ربما أحتاج لتغيير الجو.. أحتاج رؤية أشـياء لم أرها من قبل. لاحظت دهشته و هو يقول:

- هل تودي أن نخرج سويا لأي مكان.

فلم يكن من عاداتنا أن نخرج سويا خارج أبواب الجامعة ، حاولت أن أصلح فكرته سريعا فسألته:

- هـل لديـك معرفة عن أنشـطة الجمعيـات التي تجمـع التبرعات لصالح المرضى و الفقراء؟

- مؤكد ، أحيانا ندعم كثيرا منها و نحصل على إيصالات لأن ما يتقاضونه يتم خصمه من الضرائب عند تحصيلها من قِبَل الحكومة.

- أسمع أن العمل بتلك الأنشطة يخفف كثيرا من الشعور بالوحدة و فقـدان قيمـة الوقت، أعتقد أن الاقتراب مـن معاناة من لا يملكون شيئا تجعلنا نشعر بقيمة ما نملكه بصورة أفضل.

أحسسـت أنه بدأ يتفهم و يصدق سـبب سؤالي، فشعرت بجزء من

الطمأنينة و أنا أتحدث، بعدها قال:

- تريدين الانضمام لإحداها إذا.. تودين العمل معهم؟

- نعـم، ربما يمكنني ذلـك من التخلص من إحساسـي بالوحدة.. تعلم أنّ عائلتي صغيرة جدا.

- ربما أستطيع المساعدة..

- حقًا

- مؤكد

- أعرف جمعية اسمها (ملجأ).. تابعت عملهم و يعجبني نشاطهم..

كانت تلك هي المرة الأولى التي أشعر فيها بالود وأنا أتحدث إلى الزميل، و رأيت حماسه لمساعدتي أو لأني حاولت الاعتماد عليه. هنا تذكرت قول أبي «هل تعين معنى أن يحبك رجل.. لن يُعجزه شيء في الكون غير فراقك»

الفصل الخامس عشر

علمت من والدي أن من خدع الصديقة و غرر بها ذَكَرٌ له شهرة مجتمعية واسعة بحكم عمله الإعلامي، و أخبرنا المحامي أنه أنكر كل ما ادّعته صديقتي. كان الحديث يعني أن القضية من المنتظر أن تأخذ بُعدا عامًّا بحُكم شخصية الجاني أو المتهم. كان يسأل والدي عمّا إذا كنا مستعدون لذلك و عما إذا كان واثقا من صدق حديث الفتاة.

كان أبي يستمع إليه عبر الهاتف و ينظر لي بنظرات ملؤها الشك و كأنه يقول لي « هل أنتِ واثقة من صدقها ستكون فضيحة لا تُنسى إن كانت كاذبة» لم أعرف ما أقول، و لكني هاتفتها لأخبرها بما قاله المحامي و لتختار هي ما تريده. و ما إن شعرت بالاتهام حتى بادرت بالدفاع و البكاء قائلة:

- أعرف أنه شخص معروف و قد يعلم الجميع بما حدث لكن ليس ذلك ما أهتم به أو يشغلني، أريد فقط اثبات انتماء الطفل لأبيه.

صمتت لثواني قليلة ثم تابعت:

- أعلم أن مقدماتي معكِ و كل ما عرفتيه عني يجعلك تتشككين في أمري، لكن ما مصلحتي أو مكسبي بما سأفعله؛ كل ما أحتاجه ورقة، مجرد ورقة يستطيع بها ذلك الطفل أن يعيش بلا عار في مجتمعه، ورقة تحمل حقيقته و حقيقة نسبه و إن كان وضيعا في ثياب الشرفاء.

بعض الأخطاء تنتهي بمجرد حدوثها، قد يمكن إصلاحها و بعض الأخطاء ننتهي عنها بمجرد الابتعاد عنها.. لكن ماذا عن تلك

الأخطاء التي تنبت عنها خطايا و تطبع علينا ما لا يمكن إزالته.

هل تكفي ورقة لتصحيح خطيئة؟ هل حقا ستحمي الطفل من العار؟ أم ستكون سببا قويًا ليعود الأب عن جريمته في حقها معتذرا معترفًا بأنها زوجته..؟

لا هذا ولا ذاك، إنها لمجرد اثبات الحق القانوني في انتماء الطفل لأرض وُلِد عليها.

أما هي فستظل منكرة من الجميع أو الأكثرية و إن تابت و أنابت... ستنال عقوبتها من المجتمع بكل قسوة إلا إذا امتلكت من السلطة والمال ما يغلق أفواههم. وهو لن يعاقبه القانون لأنه تسبب في قدوم إنسان سيحمل نفسًا مشوهة إلى هذا المجتمع... لن يعاقبه أو يعاقبها لما جنياه في حق ذلك البريء الذي وُلد مُكرها في مجتمع سيعامله على أنه بلا كرامة و بلا شرف.

و بعد فترة قليلة سيتناسى الجميع خطيئة الأب و يُقال «رجل وأخطأ» وكأن الخطيئة حق مكتسب لهم؛ و ربما قالوا هي من غررت به حتى أوقعته و كأنه بلا شخصية منزوع العقل والإرادة.

ستظل هي الآثمة الوحيدة التي خابت في حماية عِرضها. الآثمة التي أضاعها رجلان، رجل أهمل تربيتها و آخر استغل ضعفها.

قطع أفكاري جرس الباب هناك شخص ما قادم لزيارتنا، شخص غير متوقع. دُهشت ووالدي يقول «في موعده تماما» و دهشت أكثر عندما رأيته. إنه فتى الشرفة. رغم مُضي خمسة أعوام بعد آخر مرة التقيته، إلا أنني ما زلت أشعر بخجل شديد كلما أراه؛ ذلك الخجل الذي يجعلك تود لو تختفي حتى يمرّ الموقف. قدّمت لهما مشروبا وجلست في غرفتي أتعجل انتهاء حديثهما لأعلم ما دار به. و انتبهت لقلقي فجأة؛ و تساءلت لما أنا على هذه الحالة... فلم أجد مبررا

يستحق. لا شيء أخشاه فقد أخبرت أبي الأمر كله منذ سنوات. لقد صرت ناضجة وانتهت الحكاية.

و رغم محاولة اقناعي لنفسي أنّ الأمر لا يعنيني، فما لبث فتى الشرفة أن خرج من البيت حتى سارعت إلى أبي أعرف سبب الزيارة، لكن أبي لم يزد قوله على «إنها مجرد زيارة عمل». ولا أدري لما أصابني الإحباط حينها وتساءلت «هل كنت أريد من زيارته شيئا آخر؟» و للمرة الثانية تصدمني انفعالاتي تجاه أشياء لم تكن متوقعة، و يبدو أنّ أبي لاحظ ارتباكي فسألني باستنكار «هل من خطب ما يزعجكِ؟»؛ فأجبت بسرعة «لا شيء على الإطلاق».

نعم، يجب ألا يكون هناك ما يزعج أو يسبب الارتباك على الإطلاق. ما هذا الذي أصابني؟ أيعقل أن تحمل نفوسنا أشياء لا ندركها.. تحمل قلوبنا مشاعر نجهلها.. هل تنام المشاعر أيضا حتى تحين اللحظة المناسبة لتستيقظ، تنام حتى نظن أنها انتهت و نسيناها؛ فتلقى أول مثير لتفيق من جديد؟

(لمَ أنتم أيضا مندهشون.. تتساءلون كيف اعتقدت أنه جاء لخطبتي؛ رغم أنه نال مني يومًا ما، تمنيت ذلك. و ما كنت أعتقد أني أحببته إلا ذلك اليوم تمنيت أن يكون هو ذلك الرجل الذي يخبرني تفاصيله الصغيرة دون خوف أو خجل. تمنيت أن يكون هو؛ لأنه الوحيد الذي لا أملك شيئا أستحي منه لأخبره به. لأن خطأي الوحيد كان هو صاحبه.)

ولأن لا حيلة لي، قررت أن تعود تلك المشاعر لثباتها حتى حين. و رغم أنّه قرار مؤلم إلا أني لم أكن أملك غيره.

❖ ❖ ❖

الفصل السادس عشر

اقتربت و زميل الجامعة من مبنى الجمعية الذي بدت عليه الفخامة، قبل الدخول من البوابة سألنا الحارس عن هويتنا فبادر الزميل بتعريفهم بنفسه و بوالده رجل الأعمال المعروف و أنه حضر للتعرف على نشاط الجمعية وقبل أن يعرف من أنا، سارع قائلا « تفضلوا إلى مكتب السكرتارية «.

سجلت السكرتيرة بيانات كل منا، ثم أشارت إلى موظف آخر و أخبرتنا أنه من سيقوم بتعريفنا بأنشطة الجمعية. كانت عيني تدور في المكان باحثة عن أمي. هل يمكن أنْ أراها و لما لا أطلب مقابلتها و عبّرت للموظف عن إعجابي الكبير بالمسؤولة عن الجمعية، التي هي أمي و أخبرته أني سأكون في غاية السعادة إذا سمح لي بمقابلتها و التقاط صورة معها.

انتظرت ساعة تقريبا كي أتمكن من مقابلتها، و شاركني في الانتظار زميل الجامعة الذي تعجب لتصرفي، فسألني:

- لما تتوقين للقائها بهذه الطريقة؟ كنا سنأتي مرات أخرى و مؤكد أنك ستلقينها في مرة منهن.

تظاهرت بأني أتابع أنشطة السيدة المسؤولة منذ فترة و أني في غاية الإعجاب بها و لا أستطيع الصبر. كذبت و قلت له أني أحببت العمل الاجتماعي حبًا فيها.. و لا أدري لما كذبت، لما لم أستطع قول الحقيقة؟ هل بها ما أخجل منه؟ و إن كان بها ما أخجل منه فلما أبحث عنها.. لما أبحث عن أمورٍ تزعجني و تضطرني للكذب.. إن كنت أبحث عنها لأجلي، فماذا سيضيف حضورها بعد غياب تسعة

عشر عام. أم لأجل والدي... هل سأعرف منها أسباب حزنه، فأستطيع أن أخفف عنه؟ ربما هو الفضول فقط ما يدفعني للتعرف عليها.. هو الفضول.

سمحت السكرتيرة لنا بالدخول إليها، مكتب غاية في الفخامة و كأنه مكتب لشخص يحمل لقب وزير و هي امرأة بكامل الصفات التي تكتمل بها النساء، عندما رأيتها تجمدت الدماء في عروقي... بات ذلك واضحا في برودة يدي وأنا أصافحها وفي بحة صوتي و أنا أنطق باسمها و أقول" سعدت بلقائك كثيرا سيدة...". عرفت زميل الجامعة باسمه و بالغت في مدحها لنشاط والده الاقتصادي و عرفتني بأنني أخته. كاد زميل الجامعة أن يصحح خطأها لكني سبقته قائلة:

- نعم.. نحن إخوة..هل يمكنني التقاط صورة معكِ.. أنا معجبة بكِ وبنشاطك.

لم تكن طريقتي في الحديث أو طريقتي في الحركة تجاهها تعبِّر عن أي حماسة لطلبي أو سعادة لاستجابتها له. و حصلت يومها على أول صورة تجمعني بأمي؛ بين تساؤل زميل الجامعة و دهشته مما اعتراني أمامها.

وكي أعطيه مبررا قلت له:

- يبدو أني مريضة.ربما لا أستطيع الحضور إلى الجامعة غدا.

- هل تحتاجين طبيبا الآن؟

- ربما أحتاج للراحة أكثر..

عدت للمنزل و كأن خلايا جسدي أعيد ترتيبها لم أعد أرى شيء كما كنت أراه. أو أشعر بشيء كشعوري به في السابق، حتى نفسي أحسستها غريبة عني. إنها تحيا في غاية السعادة محتفظة برونقها

مثل شابة في العشرين، لا أعتقد أبدا أن يعتقد من يعرفها أنها أنجبت ابنة في عمري. و أبي مازال يعيش مع ذكرياته و آلامه منها، لما يحترق هو وهي تزدهر. هل كان كريها معها لدرجة تجعلها تنساني و تنساه.. لا يمكنني تَخيُل ذلك.

لم يحتمل جسدي هول ما أفكر فيه و ما أكتمه فسقطت مريضة عدة أيام، ارتفعت حرارتي جدا. تغيب أبي عن عمله ليرعاني و أغلق هاتفي. كنت أهلوس بأشياء غير مفهومة ثم أناديه في نومي. هكذا أخبرني بعدما شفيت.

كان أول ما عرفته بعد إفاقتي هو أخبار قضية النسب التي تخص صديقتي. أخبرني والدي أنّ وسائل الإعلام تناولت الخبر بلا استثناء وكذلك وسائل التواصل الاجتماعي. و تناولوا صورا لصديقتي معه في تلك المدينة السياحية التي تقابلا فيها. لقد صارت الصديقة حديث الجميع. و مازال الإعلامي الكبير ينكر علاقته بها.

ظهر بعض من رأوها بصحبة الإعلامي ليشهدوا معها بأنهم شاهدوهما سويا في المطاعم و بعضهم قال أنه يسكن في شقة مقابلة لشقة الاعلامي في تلك المدينة و رأوها تدخل و تخرج بصحبته. البعض تعاطف معها، لكن الكثير هاجموها و البعض تخطى هجومه إلى السباب و القذف. لكن قليلون جدا من أدان فعلة الإعلامي. قليلون من دعوا إلى مقاطعة برامجه حتى يعترف بابنه و يُصلح ما فعله في حق تلك الفتاة التي مازالت قاصرا في حكم القانون. لكن ما استفزني حقًا قول الإعلامي، في أحد البرامج التي استضافته بعد اعلان القضية:

- جاءتني حيث أكون، هل أمتنع؟ أنا بشر ضعيف و كانت جميلة بما يكفي لتغريني.

غضبت المذيعة من قوله و قالت:

- نعم تمتنع فهنا تتحقق وتُعرف قوة الرجال.. حينما يكونوا قادرين على حماية النساء من أنفسهم.

و أضافت:- إنها بعمر ابنتك

لكن المذيع الذي يُشاركها البرنامج حاول امتصاص غضبها تجاه الإعلامي الضيف وقال و هو يوجه نظرة يفهمها العامة إلى الضيف و يقول:

- أعتقد أن للقوة حدود..

علقت المذيعة سريعا:

- حدودها كان يجب أن تتوقف عند حدود عِرض الفتاة، الضعف لا يُبرر خطيئة سيدي و إن كان مبررا للرجل فالأولى أن يكون مبررا للمرأة لأنها الأكثر ضعفًا.

و يبدو أن الحديث لم يرُق لإدارة البرنامج فأنهوا الفقرة عند هذا الحد.

أخيرا و بعدما ذاعت أخبار القضية للقاصي و الداني حضر والد الفتاة من كندا، و لست أدري لِما حضر. ربما لينال بعضا من الشهرة التي نالتها ابنته، وربما لأي سبب آخر غير أنه عائدا ليُضمد تلك الجراح التي تسبب بها في حياة ابنته منذ طفولتها.

(لا أدري سببًا يجعل فتاة تُلقي بنفسها في أحضان من لا يليق بها و يستحقها، غير أن تكون قد حُرمت من ذلك الحضن الذي وَجَبَ عليه أن يكفيها و يحميها. يكفيها حبًا و عطفا و يحميها من مجتمع يحتقر أنوثتها و يعتبرها مجرد نقص و ضعف و أحيانا عار).

بعد ذيوع خبر القضية وانتشارها أكدّ علي والدي للمرة الثانية ألا

ألتقي بصديقتي في أي مكان عام.

استقبلني زميل الجامعة عند عودتي مبتهجا. كان يستعد لمراجعة ما فاتني من محاضرات. لكني سألته عن شيء آخر. أردت معرفة المزيد عن الجمعية التي تديرها أمي. أردت أن أتيقن من شكٍ داخلي. هل حقا هي صاحبة قلب كبير يشعر بألم الغير و يسعى لمساعدته، هل هي بذلك النقاء الذي يجعلها تستطيع أن تستشعر به معاناة الآخرين. و إن كانت بتلك الرقة لما لم تلتفت لي بإحساسها و لو لوهلة عندما كنت معها و لما أصاب والدي منها أذى يجعله يتألم إلى اليوم.

للمرة الثانية أخرج معه إلى نفس الجمعية التي صحبني إليها المرة السابقة، لكن اليوم اتجهنا حيث يقيم الأطفال و المرضى الذين ترعاهم الجمعية. حينما وصلنا إلى مدخل المبنى. أدهشني زميل الجامعة بسلوكه وجدته يُخرج أموالا و يعطيها للعاملين مؤكدا لهم أنّ المال لأجلهم و أنه يود لو يرى بعض الذين ترعاهم الجمعية يعرف منهم ما ينقصهم لإحضاره. تبادل العاملون النظرات ثم أومأ أحدهم برأسه إيجابا فتحرك آخر معنا قائلا:

- تفضلوا.

كان الإهمال واضحا في المبني بالنسبة للتشطيبات و التجهيزات مقارنة بمبنى الادارة. أما الأطفال فحالهم يثير الشفقة، همس إلينا العامل عندما رأيناهم، «إذا كنت تريد مساعدة هؤلاء فساعدهم بما يصل إليهم مباشرة لا بمال يمر على عشرة أيد قبله.. إنهم يحتاجون للمأكل و أشياء صغيرة تسعدهم كبقية الأطفال».

سأل زميلي:

- ألا يصلكم ما يكفي من التبرعات؟

ابتسم العامل ابتسامة ذات مغزى و قال:

- التبرعات كثيرة لكن الأزمة في كثرة الأيدي التي تمر عليها ، كلٌ يريد منها حصته حتى لا يبقى لهؤلاء في النهاية إلا فتات لا يكاد يكفيهم للحياة.

و يبدو أن الزميل فهم قصدي من زيارتي للجمعية و بدأ يسأل و يستقصي أخبار المكان من العامل و يشكو له ضعف رواتبهم و نقص العمال في المكان مما يثقل عليهم في اتمام ما هو مطلوب منهم. لاحظت أن شعر الفتيات في نفس قصر شعر الأولاد فسألت عن السبب أخبرني أنّ سبب ذلك هو قلة عدد العاملين القائمين على رعاية الأطفال، فقلت:

- أمن قلة مال؟

فقال العامل:- المال الذي يأتي لأجل هؤلاء الأطفال كثير و لكن لا يصل إليهم منه إلا القليل، القليل الذي يحفظ وجودهم ليكونوا سببا في جلب المال للمكان باستمرار.

انتهت جولتنا في المكان و خرجنا و قد بدت أشياء كثيرة تتضح لي عن أمي لكن الصورة لم تكتمل و يبقى منها جزءا لا يستطيع إتمامه سوى أبي.

كنت أرى الاستفهام و التساؤل واضحان في حديث زميلي، لكنه بعد خروجنا من الجمعية سألني:

- متى ستوضحين لي حقيقة أسباب بحثك خلف تلك الجمعيات، لا تحاولي خداعي بأنه مجرد فضول أو شغل فراغ.. الأمر يبدو لي أعمق من ذلك. أنتِ لا تلاحظين الشرود و الحزن اللذان يصيبانك بعد كل مرة زرنا فيها الجمعية.

ثم أضاف ذاكرا اسمي بداية حديثه:

-... يمكنني الإحساس بألمك لكني غير قادر على تخمين أسبابه. أخبريني إن كنت تملكين بعض الثقة في..

لم أجد ما أجيبه به و لم أعرف ما يجب أن أقوله، فكيف لا أثق به و أنا أعرف ما سأله لأبي، قلت لتخفيف وطأة صمتي عليه:

- صدقني الأمر لا يتعلق بالثقة مطلقا..

و عدت لتأنيب ضميري فما كان لي أن أسمح أن تنمو علاقتنا أكثر و تزيد أحاديثنا يوما بعد يوم، بعدما قررت وقفها؛ و قد صارحت والدي بعدم رغبتي فيه كزوج. إن استجابتي له و قربنا يزيد أمله و تعلقه.. ما كان لي أن أعود و أدع له فرصة للتقرب أكثر، ذاك ظلم لي و له. بل جريمة أستحق العقاب عليها.

سألني و أنا في غمرة صمتي:

- هل أنتِ مستعدة للامتحانات.. لم يتبقى سوى أسابيع.

سألته:- و هل أنت مستعد لها.. أم من أعدوا البحث سيستعدون عنك..؟

خرجت منه ضحكة عالية و كأنه فطن إلى قصدي:

- كنت واثقا أنكِ ستكتشفين الأمر و لو بعد حين، لكني لم أجد حيلة أخرى للحديث إليكِ. عموما فقد تعلمت منكِ كيف تكون الجدية في الدراسة و التفوق.

الفصل السابع عشر

كانت ليلة من ليالي يناير الباردة و أنا أجلس مع والدي بغرفة مكتبه و المدفأة تعمل حولنا. كان مشغولا بقراءة كتاب و أنا أذاكر و بلا مقدمات قررت الحديث، قررت أن أخبره بما فعلته ليخبرني هو بقية الحكاية اخترق ندائي الصمت:

- بابا

- هل من خطب..؟

- لقد رأيت أمي.. شاهدتها عن قرب و عرفتها. إنها تماما كالصورة التي رسمتها في الألبوم منذ سنوات لم تتغير كثيرا....

سكتُ قليلا و تابعت:

- لقد كنت محقا في إعجابك بها.. إنها جميلة جدا، لكني أظنها قاسية؛ ألم تكن قاسية؟

يبدو أنه استغرق وقتا حتي يستوعب حديثي فتجاهل سؤالي الأخير و سألني:

- أين رأيتها؟ ربما لم تكن هي..

أجبت:

- بل هي.. لقد بحثت عنها و ذهبت إليها في مكان عملها.

فتحت الهاتف و أظهرت له صورتي معها، و حينها و جدت أبي يصرخ في وجهي لأول مرة متسائلا:

- هل تعتقدين أنكِ كبرتي بما يكفي لتتصرفي كما تشائين؟ لما تبحثين عنها؟ ماذا تريدين منها؟ هل تريدين أن تتخذي منها قدوة

و مثـالا في الحياة؟ لقد رحلـت و تركتكِ لأجل المال. لم تفكر لمرة واحدة أن تعود لرؤيتك.

سكت قليلا و كأنه انتبه لأمر ما ثم سألني:

- هل عرفتكِ أو عرفتيها بنفسك؟

سارعت بالقول:

- كان معي زميل الجامعة و ظننتي أخته؟

زاد غضبه لكن صوته خُفض قليلا و هو يقول:-

زميـل الجامعة ، ألم تُقـرري عدم الارتباط به فلمـا تقحميه أكثر فيمـا يخصك.. كان يجب أن تبتعـدي لا أن تقتربي أكثر.. ألا تظنين أنّ بتصرفكِ معه قسوة أيضا.

صمـتُ وخفضتُ رأسـي ، أحسسـت بأني أقمت حربًـا في الكون كلـه ، و أن وجـودي أذى كبيـر لمـن حولـي. حاولـت الاسـتئذان و الانصـراف إلى غرفتي ، لكنه أبـى و أمرني بالجلوس و بدأ في إلقاء الأوامر لأول مرة.

طلـب أن أضيق علاقتـي لأقصى ما يكون مع زميل الجامعة حتى تنتهي امتحاناتي و ألا أذهب مرة أخرى إلى الجمعية حتى نفس الوقت ، نهاية اختبارات الفصل الدراسي الأول ثمّ تابع قائلا :

- أعرف أنها تزوجت بعد انفصالها عني بشهور قليلة ، ثم انفصلت مرة أخرى عن زوجها و تزوجت بأحد رجال المال المعروفين و هو من أنشأ لها تلك الجمعية. و يبدو أنها وجدت عنده غايتها فلم تنفصل عنه.

- لمَ لم تخبرني منذ البداية؟

- لـم يكـن لـكِ حاجة بمعرفة شـيء عنهـا ، إنها لم تهتـم بكِ منذ تركتكِ.

لم أسأله المزيد عنها ، فقد أصبحت أرى أنّ مجرد تذكرها إثارة للهم والألم.

(غريب أمر الآباء يلقون عظاتهم و أوامرهم علينا، متجاهلين أننا بشر يمكننا التقصير و العصيان. و نسألهم فلا يجيبون متخيلون أننا لن نبحث عن المعرفة بعيدا عنهم و هم بذاتهم قد يسّروا أسبابها بين أيدينا... ثم يعاقبوننا لأننا سعينا للبحث و المعرفة بعيدا عنهم)

التزمت بأمره حتى انتهاء الامتحانات، و بعدها بدأ يحدثني عن زميل الجامعة و يطلب مني ألا أخسره فهو يراه رجلا مسؤولا و يحبني و ليس هناك أفضل من صفاته يتمناها أب في زوج ابنته. لكني أظهرت اعتراضي رغم إحساسي بالتردد بين القبول و الرفض، وكأني أريد فقط أن ألقي بالموضوع عن ذهني.

وعندما سألني أبي عن أسباب اعتراضي قلت له بأنه يملك المال و السلطة و الشباب و ذلك يُغري أي فتاة في عمري.. أريد زوجا أحب ضعفه قبل قوته و فقره قبل غناه حتى إذا جاءت عليه الأيام و فقدهما أظل على حبي له. و أخبرت أبي أن أخبره أنا بما أود فربما كان ذلك أهون على نفسه.

هاتفته و أخبرته أنّ والدي قد أخبرني عن رغبته في الارتباط بي لكني رغم احترامي له فلا أستطيع تصوره أكثر من أخ.

أجاب بنبرة حزينة أنّ ما يهمه في النهاية هي سعادتي و قد طلبني للزواج لأنه تصور أنه يستطيع تحقيقها. و أنه علي اختيارها أينما وجدتها.

أعلم أنّ مبرري له كان مائعا بلا معنى و قد استثارني الحزن الذي شعرته و كذلك أسرني قوله «كل ما يهمني سعادتك و تصورت أنني

قـادر على تحقيقهـا». حزنت كثيرا بعد حديثـي معه و كأنّي فقدت أجمل شيء تعثرت به في حياتي.

و بمجرد أن أنهيت حديثي أخبرني أبي أنه أراد مني تحديد موقفي تجاه زميل الجامعة لأن هناك شـخص آخر، ولا أدري لما سـرح عقلي سريعا نحو فتى الشرفة و كان ظني على حق.

كان موعده معنا مساء اليوم التالي، فرحة تغمرني و أنا بانتظاره، و كأنـي سـأحظى بجناحين أطير بهما و ليس مجـرد انتظار خطيب جاء ليتعرف إلي. لكن شـيئا ما كان يشـوب تلـك الفرحة المبالغة، شيء بلا تفسير.

تقدمت و جلسـت في الكرسـي المقابل لأبي و قرأ أبي رأيي في عيني قبل أن يسـمعه مني بعد ذهاب فتى الشـرفة. لقد وافقت بسرعة علـى طلبـه لم أعطي نفسـي فرصة للتفكير في أي شـيء. لم أسـأل عن شـيء يخصه و اكتفيت بأسـئلة أبي. وافقت بسـرعة على رؤيتي القديمة له و احساس المراهقة القديم داخلي به...

كان المفتـرض أن أقـرر أن أقبـل بـه أو أرفض بمقاييـس رؤيتي للحياة في سني التي طلبني فيها، لكني لم أفعل. و اكتفيت بإيقاظ أحلامي الصغيرة التي كان هو بطلها.

و رغـم ذلـك فلـم يكن فتـى الشـرفة سـيئا... كان جيـدا بكل المقاييـس التـي تميز زوج جيدا كما يرى أبـي، لكن أبي لم يقل لي و لـو لمـرة واحدة أنه يحبنـي، كما قال عن زميـل الجامعة؛ رغم أني ظننت أنه يحبني في أوقات كثيرة.

كنـت أتابع الأخبار علـى هاتفي، كما أفعل عادة فوجدت صورة أمـي و تحتهـا عبارة " صاحبـة جمعية خيرية تختلس أمـوال التبرعات لصالحهـا و الأطفـال لديها يعانـون الإهمال و أمراض سـوء التغذية "

كان الخبـر مصحوبا بكثير من الصور التي رأيت واقعها سـابقا مع زميل الجامعة. أحسسـت بكثير من الغضب و قررت أن يكون اليوم هـو نهاية ذكريات أبي الحزينة ، و دخلت مكتبه و هو مسـتغرقا في عملـه. أخبرتـه أنـي أحتاجه لأمر عاجـل و كفى له مـن تأجيل. وضع قلمه ثم رفع رأسه لي متسائلا :

- ماذا؟

أخرجـت ألبوم الصور الـذي يحتفظ فيه بصور أمي ثم أريته الخبر و قلت له :

- مؤكد أنّ هذه ليسـت من أحببتها ، لقد أحببت و عشقت صورة صنعتهـا لها بخيالك، صورة لم تسـتحقها و لم تملـك منها إلا إطارها الفاتـن. و ضعت الألبوم إلى جـوار الهاتف و قلت انفص خيالك و انظر إلـى الواقع.. هناك من يحتاج حبـك أكثر.. لا حاجة لك الآن لأن تهدر مشاعرك لمن لا يستحق..

أمسـك أبـي الألبوم و خـرج من غرفـة المكتب متجهـا للمطبخ و اتجه نحو الموقد و أشـعله و أنا أتابعه بدهشة. أشعل الموقد و بدأ في تمزيـق الألبوم ورقة تلو الأخرى و يشـعلها حتى وصل إلى آخر صورة و التي تجمعني بهما فقام بفصل الجزء الذي يحتوي صورة أمي و أحرقه قائلا :

- ما بقي يكفي، لا حاجة لي أن أبحث خلف ما ضاع.

هنـا رأيت الكون بلـون آخر ، لون وردي يحـوي الأمل. اقتربت من أبي و طبعت قبلة على خده، قائلة :

- أحبك.

أخيرا و بعد بداية العام الدراسي الجديد بأيام قليلة تمّ اثبات نسب ابـن الصديقة و قـررت المحكمة أن يدفع الأب نفقةً له و بدلا لرعاية

أمـه له. لكن لم يجرّم القضاء قـط الطريقة التي جاء بها هذا الطفل للكـون... لـم يُحاسـب والده على انـكاره له منذ حملت بـه أمه و لم يُنكـر علـى الأم أنهـا قصّرت في حقه فـي أن تلده كريمـا ذا عزة و شرف.

كنت على موعد مع خاطبي فتى الشـرفة و كنت أنتظره و أنا في غايـة السـعادة، هكذا كنت انتظره كل مـرة. و قبل أن يأتي بدقائق قليلـة و جـدت صديقتـي القديمـة تطـرق البـاب. جاءت لتشـكر لي و لوالدي حُسن صنيعنا معها. واعتذرت انها لم تتصل قبل الحضور. لكن ماذا يفيد الاعتذار؟ و لما الاعتذار فحياتنا كلها أقدار تسوقنا لأقدار..

حضـر فتـى الشـرفة و رأى الصديقـة تجلس بصحبتـي في حجرة الاستقبال بالمنزل. لم يُعلق و لم يتكلم، لكنه رمقها و رمقني بنظرة الكل يفهمها ثم تركني و خرج دون أن يقول أي كلمة. حسبته غضب لوجودها فقط و ذهب، لكنه اعتذر لوالدي عن الخطبة بعد أيام.

هل كنت مخطئة حين سـاعدتها. لقد أرادت التوبة و إدراك الحق و الصـواب.. هـل أخطـأت حين أخـذت بيدها؟ أنا لـم أخطئ ولكني ساعدتها كي تبتعد عن طريق الخطايا...

هـل هـذا جزائـي؟ و إن كان ذلـك هـو جزائـي فأنا لسـتُ نادمة. سأخرج الآن أمام الستار، فليس هناك ما يُخجلني.

و أشكرها أمام جمعكم فكما كنت لها عونا في محنتها؛ فقد كانت لي هي أيضا عونا في اكتشاف ذاتي وربما إنقاذي من خدعة ربما عشـت فيها عمري، إنها خدعة حب فتى الشـرفة، الذي أخذني الوهم في حبه لرفض آخر حقيقي.

العلاقات الكثيرة تجعل الأحاسيس و المشاعر تختلط و لا تصفو فلا نستطيع تمييز الصادق من المزيف فيها.

النهاية

خرجت سلمى من خلف الستار وكشفت وجهها و بعد كثير من التصفيق، بدأ الحضور كلهم ينصرفون، بعضهم اقترب منها يحييها و البعض خرج مبتئسا و لم يتابعها إلا بنظرة مستفهمة، و كأنه يقول كان الأولى بكِ أن تنفضي يديك منذ البداية.

خرج الجميع إلا اثنين أحدهما والدها الذي أصرّ أن يكون لها عونا في تلك المواجهة كما كان دائما و أما الآخر فكان زميل الجامعة الذي دعاه الأب للحضور، ربما ليوضح له الموقف برمته و يؤكد احترامه له. اقترب منها و قال:

- اعتقد أنكِ صرت أكثر نضجا لتتخذي قرارا أصوب.

لم تكن سلمى في حالة تسمح لها بأن تعطي أي رد أو انطباعا لما تشعره. و لكنها رحبت بدعوة والدها لزميل الجامعة بتناول مشروب معهم.

و كأنها كانت تخاف أن يرحل هو الآخر دون توضيح أسباب فقررت أن تتحدث بما تظنه سرا، فخفضت صوتها و سألته:- هل تدري من هي السيدة التي زرناها في الجمعية و التقطت صورة معها؟

أجاب بكل ثقة:

- إنها والدتك..

وأضاف:

- هل كنت تعتقدين أن أرى اهتمامك بشيء ولا أبحث فيه.

على بُعد أمتار كانت الصديقة القديمة، والتي نظّمت المقابلة

لأجلها كي تدافع عنها عندما تركها خاطبها فتى الشـرفة؛ تنظرها لتودعها قبل عودتها لكندا مجددا مع والدها.

نظرت إلى والدها و كأنها تسأله أمازلت على رأيك القديم، فهز رأسها موافقا بأن تذهب إليها و هو يبتسم

استأذنت سلمى لتوديع صديقتها و عاهدتها على أنهما لن تفترقا، ثم عادت حيث والدها.

رحلـت الصديقـة إلى كندا مرة أخرى مع طفلها و قد وعد والدها بأن يوفر لها و لطفلها سكنا آمنا بعيدا عن زوجته الأولى، لعله يغفر لنفسه تقصيره السابق معها.

تمت الإسكندرية ٢٠١٩سبتمبر

❖ ❖ ❖